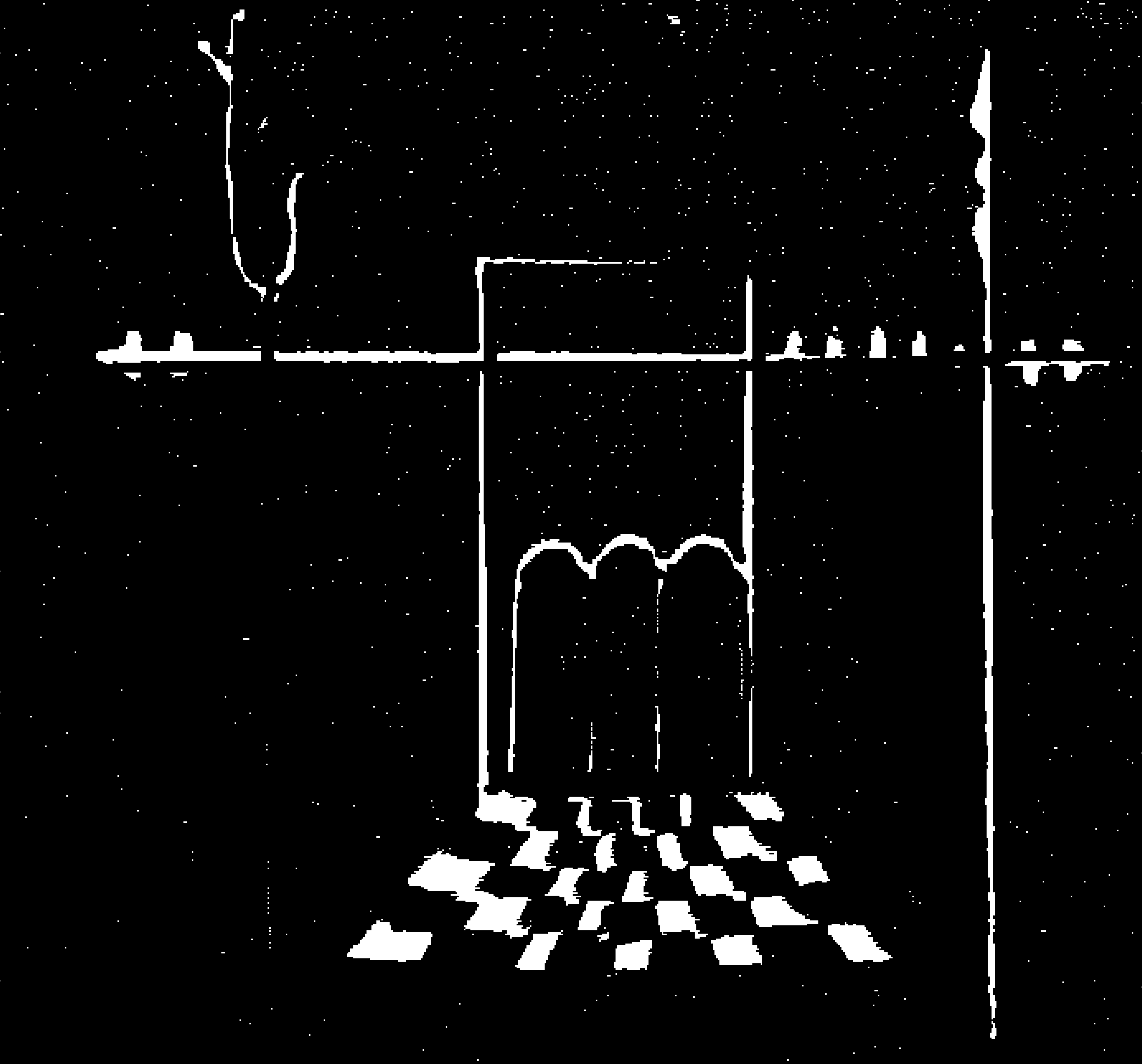


ست شخصيات تبحث عن مؤلف

لويجي بيراندللو

ترجمة
محمد إسماعيل محمد

مراجعة وتقديم
حسني محمود

روائع المسرح العالمي
١٤

ست شخصيات تبحث عن مؤلف

تأليف: لويجي براندللو
ترجمة: محمد إسماعيل محمد * مراجعة وتقديم: حسن محمود

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

ست شخصيات
تبحث عن مؤلف

تأليف : لويجي براندللو

هذه ترجمة مسرحية

SEI PERSONAGGI IN CERCA D'AUTORE

LUIGI PIRANDELLO

ترجمت عن الأصل الإيطالى

مقدمة

بقلم

الأستاذ حسن محمود

لكى نفهم تماماً مركز پيرانديللو . وتسلط فنه على المسرح ، وتأثيره الذى لم ينتقل إلى البلاد المجاورة له فحسب. بل انتقل إلى الفن المسرحى الذى يتبع نظم الحضارة الأوربية فى أنحاء العالم . يجب أن تقف وقفة قصيرة عند تاريخ المسرح الإيطالى وأثره فى النهضة الأوربية ومكانه منذ بدء النهضة الحديثة فى أوربا .

فإنّا نعلم أن إيطاليا كانت منبع هذه النهضة الأوربية . وعندما استولى الأتراك على القسطنطينية وفرّ الأدباء والعلماء إلى إيطاليا حاملين كنوزهم من آثار الحضارة اليونانية ، تناول رجال الفكر تلك الكنوز وارتووا بما بقى من شعر المسرحيات اليونانية من تراجيدية وكوميدية فكانت نهضة فى المسرح الإيطالى ، وانتقلت مع غيرها من فنون وآداب إلى فرنسا ؛ ثم إنجلترا وغيرها من البلاد القائمة فى أوربا فى ذلك

العصر والتى كان يمسّها تيار الحضارة المندفع إليها من إيطاليا .

ولكنا نقول لوجه الحق والتاريخ إن المسرح الإيطالى وإن برع وابتدع فى الفن المسرحىّ من حيث إنشاء المسارح والتفنن فى إخراج المسرحيات وتمثيلها ، إلا أنه لم يخرج فى عصر النهضة بوجه عام مؤلفين يمكن أن يقارنوا بالمؤلفين المسرحيين فى دول أخرى مثل فرنسا وإنجلترا إسبانيا ولكن كان لدى إيطاليا مسرح فريد حىّ فى مجال آخر لم يكن معروفا عندئذ فى غيرها من بلاد أوربا وهذا المسرح نشأ فى الشعب ومن طبيعة الشعب نفسه ، وهو نوع من المسرحيات الهزلية المرتجلة ، تمثل فيها النساء إلى جانب الرجال — ولم يكن ذلك مألوفا عندئذ ؛ ويضع فيها الممثلون الأقنعة على الوجوه وكانت الجماهير تقبل على هذا النوع إقبالاً شديداً ويسمى عندهم ؛ الكوميديا الفنية .

لم تكن هذه الهزليات كالمسرحيات مؤلفة ومسطورة ، بل كان موضوعها ملخصا فقط ويترك الأمر للممثل فهو الذى يرتجل الحوار عفو الخاطر وكانت الأدوار التى يقوم بها كل ممثل ثابتة ولذلك إذا اشتهر ممثل بتمثيل دور من الأدوار ثَبَتَ له وصار يمثله أبداً ، وإن كانت عبارات الحوار تتغير بما يمليه عليه خاطره واجتهاده .

وهذا النوع من المسرحيات انتشر فى إيطاليا وأقبل الشعب عليه إقبالا منقطع النظير . وفكرت فرق هذا النوع ألاّ تقتصر

على المحيط الإيطالى وحده فانتقلت فى القرن السابع عشر إلى فرنسا وزارت البلاد الألمانية وغيرها من البلاد الأوربية فكانت حدثا جديداً فى المسرح وأثرت فى الفن المسرحى تأثيراً كبيراً .

وقد ترك هذا النوع من المسرحيات جذوراً عميقة فى إيطاليا ظلت تظهر وتختفى إلى أواخر القرن التاسع عشر ، حيث تغلبت مسرحيات إبسن بوجه عام على مسارح البلاد الأوربية ، وصار للنزعة الواقعية اليد الطولى فى المسرح إلا فى إيطاليا ، فقد كانت الواقعية أقل ثباتاً منها فى غيرها من البلاد ، وكانت تبدو فيها بين حين وآخر نزعات تسترعى النظر وتجد إقبالا من الجمهور الإيطالى .

وقبل الاسترسال فى كلامنا نقف لحظة لنتساءل : ما هى الواقعية فى المسرح ؟ إن الحديث عنها يطول ولكنا نستطيع أن نقول فى عبارة مختصرة إن مؤلفى المسرحيات الواقعية هم الذين يقتطعون فى مؤلفاتهم قطعة من الحياة ، يبرزونها ويروونها على المسرح . وفى هذه الحالة لن تكون المسرحية إلا قصة تصور الحياة كما هى : الحياةالتى نحياها كل يوم والحوادث التى تحدث فى بيئتنا ، وما أشد رغبة الناس فى التطلع والإنصات إلى قصص الحياة العادية . فالممثلون إذن فى المسرحية الواقعية المبنى والمنحى . رواة لحادث من حوادثنا اليومية ، وكان المسرحان الفرنسى والألمانى متجهين هذا

الاتجاه فى شباب إبسن بعد أن مل جمهور الأمتين مبالغات النزعات الرومانطيقية ، فجاء هذا المؤلف المسرحى النرويجى واتخذ الواقعية طريقته المفضلة ، وعالج فيها مشكلات لم يكن المسرح يتعرض لها كالأمراض المعدية الوراثية ، أو مشكلة الثروة والإفلاس والرياء فى الحياة الزوجية وآثار الماضى . واجتذب بطريقته جمهور المؤلفين المسرحيين فسادت الواقعية وسار المؤلفون ينحون نحوه فى جميع البلاد . فثبتت جذور الواقعية .

ولكن هل ثبتت الجذور ثباتاً كاملا لا تحوّل فيه ؟ لقد بدأ فى أوائل القرن العشرين كأن لا تحول هناك ولكن العالم كله أخذ يتحول منذ نهاية القرن التاسع عشر وأخذت الحياة تتغير فى سرعة ولاسيما فى المجالات العلمية والصناعية . وقامت الثورات الفكرية بتشكيل أنماط جديدة للحياة ، وجعلت تسرع فى سيرها ؛ وكان للمسرح وهو وليد الفكرة والفن أن يعكس هذه التغييرات ، وهو بطبيعة تكوينه أبعد الأشياء عن الطبيعة . وكيف ينتظر أن يخضع المؤلفون المسرحيون لمجرد نقل صورة من صور الحياة ، وهنالك ثورة أفكار جديدة تريد أن تنطلق فى جميع الاتجاهات !

كان هذا سير المسرح فى أوربا ، وكان هذا سيره إلى حدما فى إيطاليا . إن إيطاليا التى عرفت فى الكوميديا الفنية ذلك الفن الشعبى العجيب ما كانت لتخضع للواقعية فى سهولة .

فقد اعتاد الشعب الإيطالى أن يذهب إلى المسرح ليرى شيئاً غير حياته اليومية الواقعية . ولذلك لم تجد الواقعية عنده مكاناً ؛ أجل هبت ريحها وظهر عدد قليل من المؤلفين الإيطاليين نحوا منحى الواقعية فى مسرحياتهم ، ولكن هذه الريح الشمالية لم تلبث إلا قليلا حتى ثار المؤلفون المسرحيون وحاولوا أن يبعدوا عنهم تلك الريح. بل يبعدوا ريحاً أخرى أخف وقعاً هى ريح المسرحية العاطفية التى جاءتهم من فرنسا فى مسرحيات مثل « غادة الكاميليا » أو « النسر الصغير » ، وظهرت شمس المسرح الجديد ، مسرح الملهاة ومسرح الاعتراف بأن الحياة الواقعية ليس مجالها المسرح ، وإذا اتجه إليها فإنما يكون ذلك اتجاهاً عابراً ، وإذا أراد المسرح لنفسه البقاء ، وجب أن يلهى الناس عن تلك الحياة الواقعة فلا يعيشون يومهم فى متاعب الحياة وليلهم فى رؤية قصص تلك المتاعب .

وفضلا عن ذلك فإن الحياة نفسها تحتوى مفاجآت وألغازاً قد لا يصل الإنسان إلى كنهها وتبقى لغزاً طول حياته . والإنسان بطبيعة تكوينه قد يقع تحت طائفة من الأوهام وقد تشتد وطأة الوهم عليه حتى ليظنه الحقيقة ، والواقع أن الطبيعة الإيطالية كانت مضادة للسير فى ركب الواقعية ، فنجد مؤلفاً بعد آخر من المؤلفين المسرحيين يجنحون إلى اطراح الواقعية مثل « سنبنللى » فى مسرحية « قناع بروتس » عام ١٩٠٨ . وفى مسرحية « حب الملوك

الثلاثة » و « سلفاتورى دى چياكومو » فى مسرحية « أسونتا سبينا » (١٩١٥)..

وقد ظهرت هذه الحركة وأينعت فى شباب پيراندللو نفسه ، وعرفت باسم « مسرح العجائب » وكان من أبرز الدعاة إليها كيارللى مؤلف مسرحية « القناع والوجه » عام ١٩١٦ .

هذه هى جذور المسرح عند پيراندللو ولكن قبل أن ننتقل إلى الكلام عن مسرحه ، يجمل بنا أن نقف وقفة عند حياته ونشأته .

فى أقصى الجنوب من الدولة الإيطاليـــة تقع جزيرة صقلية التى يسكنها قوم جمعوا سلالة خليط من شعوب عريقة ، فقد استوطنها اليونانيون القدماء وتركوا فيها مدنيتهم إلى أن استولى الرومان عليها وتركوا آثاراً ماثلة وحكمها البيزنطيون ثم العرب ثم النورمانديون .

ولد « لويجى پيراندللو » ببلدة أجرجنتى بصقلية فى ٨ يونيو سنة ١٨٦٧ فى ظروف لعلها نذيرة بمتاعبه فى الحياة . ذلك أنه صيف سنة ١٨٦٧ اجتاح وباء الكوليرا أرض صقلية . وكانت للوالد الذى يعمل فى تجارة الكبريت دار ريفية تنتقل إليها الأسرة أحياناً فرأى أن تنتقل زوجته بالجنين إلى تلك الدار ، وظل هو مقيما فى البلدة يزاول أعماله ويرجو أن تخطئه الوباء ولكن الوباء عرج عليه فأصيب

بالداء الوبيل غير أن رحمة الله أدركته . وبمجرد شفائه زار زوجته وكانت قد شعرت بالآم الوضع . ولم تلبث أن ولدت غلامها دون أن تكون إلى جانبها ممرضة أو طبيب .

لسنا نريد أن نتابع حياته ببلدة جيرجنتى فى طفولته وبين أهله ، وهى حياة نعلم عنها الكثير فى المؤلفات عنه ، وقد نعلم الكثير عنها من الشخصيات التى أدمجها فى بعض قصصه . ويكفى أن نقول إنه نشأ فى عناية والدته ورعايتها فكان يتلقى دروساً فى الدار ، كما أنه من صغره أنشئ نشأة دينية فكان يواظب على مواعيد الصلاة فى الكنيسة .

وكان أبوه رجل الأعمال لا يعتقد إلا فى الأرقام والأعمال المثمرة مادياً ، لذلك بمجرد أن حل الوقت لإدخال الغلام فى مدرسة بعد تلقيه دروسه الأولية فى الدار ، أصر الوالد على أن يدخل لويجى المدرسة المهنية كى يكون مجاله التجارة فى المستقبل . وظل الغلام فيها سنة لا يشعر برغبة فى دراساته ، وما أن يذهب إلى البيت حتى يشكو لوالدته من تلك الدراسة التى لا يميل إليها ويبكى . وكان مع ذلك ينجح فى الامتحانات دون صعوبة . ولم تجد الأم وسيلة لإقناع الأب بفكرة الابن ، وهو رجل شديد المراس لا يقبل المعارضة ، واقتنعت الأم ألا فائدة ترجى للابن الدائم الشكوى من الكلام مع الأب ، فأفضت لأخيها بشكوى الغلام ، فأشار الخال عليه بما ينفعه فى دراسته ، ثم ألحقه بأستاذ يعلمه اللغة اللاتينية التى تنقصه

لكى يستطيع الالتحاق بالمدرسة ودراسة الأدب ، ورضى الأب عن ذلك بعد أن رأى نجاح ولده فى دراسته الجديدة .

وفى تلك الأثناء ظهرت على الغلام ميول واتجاهات أخرى . ففى تلك الدراسة الابتدائية ببلدته ، ألف هو وبعض الأصدقاء فرقة مسرحية واتخذوا مسرحاً فى منحدر يقع خلف داره ، وأخذوا يمثلون فيه بعض المسرحيات التى وجدوها فى مجموعات الكتب عند أهلهم ، ولعل مؤلفنا الصغير جرب قلمه عندئذ .

على أن الحياة لم تكن لتجرى فى سهولة ، فقد كان الغلام يعيش فى يسر ببلدته القديمة بفضل المكاسب التى كان يجنيها والده . إلا أنه حدث ، والغلام فى الثامنة من عمره ، أن الأب ابتدأ يخسر أمواله ، وأدى ذلك إلى أن انتقلت الأسرة إلى مدينة پالرمو عاصمة صقلية حيث أقامت فترة من الوقت ، واستمر لويجى فى دراسته على نسق الدراسة فى بلدته ، إلا أنه كانت أمامه فى پالرمو فرصة أوسع للدراسة والتحصيل فى مكتبة الجامعة .

لم يطل المقام بالأسرة فى تلك العاصمة . واضطرت إلى العودة إلى جيرجنتى ، على أن لويجى آثر أن يبقى فى پالرمو ، فاستأجر غرفة لدى إحدى الأسر وظل يواصل دراسته ، ثم اتجه نحو قرض الشعر ، ورغم صغر سنه وجد مجلات أدبية تنشر له شعره وتقبل عليه .

وقامت بعض المشاكل العائلية الناشئة عن تعلق قلبه بالحب فاضطر إلى الانتقال من مدينة پالرمو إلى العاصمة الكبرى روما لكى يتم دراسته فى وقت أسرع . وأقام عند خال له هناك ، وقد رسم الفتى صورة لروما فى ذلك العصر بأدق تصوير فى إحدى قصصه التى كتبها من بعد ، وهى قصة « الشيوخ والشباب » كما أنه صور فى تلك القصة نفسه فى صورة شخصية شاب « مندفع ثائر منتقم » .

ووقعت له مشكلة دراسية أثناء دراسته فى روما ، وكان قد قطع سنتين فى الدراسة ، ذلك أن أستاذ اللغة اللاتينية أخطأ فى تفسيره لمعنى العبارات فى إحدى المسرحيات اللاتينية ، فانبرى لويجى لتصحيحه ثم غادر الدرس غاضباً ، فكان هذا المسلك سبباً لعرض الأمر على مجلس الأساتذة . وكان هنالك أستاذ يعطف عليه فأشار عليه بأن يذهب لإتمام دراسته فى جامعة بون الألمانية العتيقة فى شهرتها ، فأكب الفتى على تعلم اللغة الألمانية ثم اتخذ طريقه إلى الشمال ، وتوقف ملياً عند بحيرة كومو حيث قضى فترة من الوقت عند بعض الأقرباء فى بلدة كافالسكا المليئة بذكريات الشاعر الإيطالى مانزونى وذكريات غريبالدى الذى وضع فى تلك البلدة خطته لمعركة سان فرمو . ومن تلك البلدة قام مزوداً بتوصية للأستاذ فورستر من أساتذة جامعة بون ، وأخذ يتقوى فى الألمانية بأن ترجم قصائد « الذكريات الرومانيه» لجيته إلى

لغة بلاده شعرا كما كتب بعد عودته مجموعة « ذكريات عن الراين »

وحصل لويجى على الدكتوراه من جامعة بون ثم عاد إلى بلاده ، وزار فى طريق العودة بعض البلاد الألمانية ليسترد شيئا من قوته وكان قد ضعف ونحل جسمه من كثرة العمل ، فقدم إلى مدينة ڤيزبادن الحافلة عندئذ بالمتنزهات لترويح النفس ثم سافر إلى روما حيث نزل فى بيت خاله بعض الوقت ، ثم سافر جنوبا إلى بلدته وهناك تبين له أن خطيبته غاضبة عليه من أجل قصائده التى صاغها وهو فى ألمانيا وفيها من رموز الإهداء ما يدل على أنها وضعت لغيرها فكان المتهم البرىء . وأغرقت الخطيبة فى لومه وتحزبت لها أسرتها . ومما زاد الأمر تعقيداً أن أسرته وأقرباءه غضبوا له أكثر من غضبه ، وتلك هى عادة أهل صقليه ، فأدى ذلك إلى القطيعة بين الخطيبين ورجوعه إلى روما حيث أخذ يفرغ للتأليف ، فكتب أول قصة له « الطريدة » بعد أن سكن فى فندق فوق جبل عال على مقربة من بحيرة « نيمى » ، سكنه مع جماعة من الرفاق بين مؤلف وفنان . وكان ثلاثة منهم لا يرتدون عادة إلا ملابس الرهبان ولاينزلون إلى القرى المجاورة عادة إلا بها ومنهم صديقنا الشاعر الناثر .

فى هذه الأثناء كان والده قد اتصل بأحد رجال الأعمال

وارتبطا بالصداقة كما ارتبطا بالمشاركة فى العمل وكان لهذا الشريك الجديد ابنة ظريفة أعجبت الأب والأم فخطباها لابنهما لويجى دون استشارته وذلك على عادة أهل صقلية وتم الزواج بعد أن دفع والد الفتاة بائنة تسلمها الأب واستعملها فى تجارته .

وكان لويجى فى هذه الأثناء غارقاً فى مجادلات أدبية إذ انضم إلى جماعة من الشباب يحاولون أن يفتحوا فى الشعر والأدب طريقاً جديداً وكانت طريقتهم فى ذلك أن يحطموا الأصنام القائمة ، ولعل أكبر الشعراء والأدباء فى تلك الفترة كان دانزيو . ونشر لويجى مقالات من نار فى حملته على دانزيو والمشايعين له من الأدباء . ولم يكن دانزيو يكبره بأكثر من أربع سنوات ولكنه وصل إلى المجد صغيراً جدا ، فكانت حملة پيراندللو عليه حملة لمع بريقها لحظة ثم غاضت فى الظلام .

وعلى أثر تلك الحملة مباشرة دخل پيراندللو ميدانا جديداً فى الأدب بمسرحية فكاهية ذات فصل واحد قرأها صديق فأعجب بها فدعا ناقداً ومؤلفاً مسرحيا لقراءتها فأعجب بها أيضاً ، ولكنها لم تر المسرح فى تلك الفترة وضمت إلى مجموعة مؤلفاته فى أضابيره .

وأخذ لويجى يكب على كتابة النثر كذلك فظهرت له مجموعة قصص « مهازل فى الحياة وفى الموت » فى مجلدين ،

ثم قصة طويلة « عندما كنت مجنونا » ثم قصة « البيض والسود » كما نُشرت قصة « الطريدة » فى جريدة لاتريبونا اليومية ونُشرت كذلك قصة « البرج » .

وصار عندئذ يواصل الكتابة فى هدوء ويحيا حياة رتيبة ويجمـــع فى داره جماعة من الأدباء يلتفون حوله ، ويسمح لزوجته بأن تتصل بنخبة من الصديقات ، لايقيدها بشرط ، إلا أن تبتعد عن صداقة الأديبات وكان دخله واسعاً بالنسبة لذلك الزمن كما أن أباه الذى يستثمر بائنة الزوجة ، كان يمدهما بالأرباح الناشئة عن هذا المال .

مضت الحياة بين الزوجين فى روما رتيبة مستقرة وولد له فى ست سنوات ثلاثة أطفال .

ولكن حدث ماعكر صفو حياته، إذ غرق منجم الكبريت الذى يمتلكه أبوه ، فإذا به يفلس فى عمله للمرة الثانية . وقد اتخذ پيراندللو من هذا الخراب الذى حل بأبيه موضوعاً لقصة سماها « دخان » فكانت المصائب والشدائد تزيد من عزيمته ، فحاسته الفنية تنمو وتزدهر أمام هذه الأهوال ، وكان يحب دائماً أن يعالج فى قصصه مصائب الناس وقلما يصور مصائب الطبيعة . لم يبق أمامه إلا أن يعيش يوماً بيوم ، واضطرت الأسرة إلى رهن مصاغ الزوجة ، واتصل الأديب ببعض أصدقائه الناشرين فسددوا له المتأخر من حقوقه فى الحال ، واتخذه أستاذه السابق فى مدرسة المعلمين العليا مساعداً

له فى إلقاء بعض محاضراته الأدبية . وفى الوقت ذاته قدم پيراناللو طلباً ليكون أستاذاً ثانياً للآداب فى معهد المعلمات ، واتفق كذلك مع جريدة على كتابة قصة ، هى قصته الشهيرة المعروفة باسم « المرحوم ماتياس پسكال » التى تصلح لكل زمان ومكان ، وكان يكتبها ليلا بعد أعماله الكثيرة المتعددة فى النهار . وكان يكتبها يوماً بعد يوم .

وثمة مشكلة جاءت تثقل حياة لويجى ، ذلك أن الزوجة التى لم تسترد صحتها منذ وضعها إلا قليلا أخذتها نوبة من الغيرة لا معنى لها ، فالرجل فى شغل بمتاعب حياته يسعى جاهداً للرزق ، ولكنها تعتقد وتصارحه بتصرفاتها بالحركة والقول ، بأنها تشك فيه وفى حركاته وتعتبر انكبابه على العمل انصرافاً عنها وتفكيراً فى غيرها .

كان پيراندللو لا ينتهى من عمله اليومى فى الدراسة حتى يكب على الكتابة ، فهو لم يعد يثق فى غير قلمه ، وأخذ يكتب ويؤلف قصصاً قصيرة ومتوسطة الحجم وطويلة .

ولكنه إلى ذلك الحين لم يقبل على المسرح ولم يكن يحب أن يكلمه أحد فيه ؛ كان فى أضابير مكتبه مسرحيتان هزليتان كل منهما من فصل واحد لم يخرجهما إلى النور إلا بعد إلحاح أحد أصدقائه من أصحاب المسارح ونجحت المسرحيتان .

كان إلى ذلك الحين يفضل القصة التى يستطيع بسهولة

أن يودعها مشاعره وآراءه . ونحب هنا أن نشير إلى وصف وضعه پيراندللو فى إحدى قصصه : « كانت ترانى على هذه الصورة ، وإذن لن أنجح فى أن أنتزع منها هذه الصورة ؛ وإذا كانت تنكر حقيقة الأمور، وإذا كان لا فائدة من أن يهبها المرء كل حياته ، فماذا يكون ؟ فأنا عندها لست أنا بل آخر ، أنا آخر ،يستطيع الكذب ويستطيع الخداع ويستطيع أن يؤخذ فى الخفاء وبلا حب . يستطيع أن ينقص من قدره ويعيش فى العار . أليس كذلك ؟

« . . . إذن تتألف الحقيقة من حقيقتين : حقيقتها وحقيقتى ،ولا يمكننى أن أقنع نفسى بأنى ارتكبت ما تظننى ارتكبته ، وأنى فكرت فيما لم أفكر فيه ، وأنى آخر ، وأنى شخص غير أمين كما ترانى ، يختلف عنى كل الاختلاف »

ونرى فى مثل هذه الكتابات المبكرة أساس فن پيراندللو الذى عبر عنه فى أكثر من قصة كما عبر عنه فى مسرحية « ست شخصيات » وغيرها من المسرحيات .

وشاءت الكوارث أن تقض مضجع پيراندللو فأصيبت زوجته بالخبال والجنون ، فأوصى الأطباء بأن توضع فى مصحة للأمراض العقلية وأن مرضها ميئوس منه . ومنذ ذلك الحين زادت حياته عذاباً إذ زادت زوجته خبالا وصار يرى منها ألواناً من التصرفات غريبة . وكان يأتى لها بالأطباء خفية على أنهم أصدقاء ، فلا تحادثهم إلا فى خيانة زوجها .

وجاءت الحرب الكبرى الأولى وجاء معها نوع من القلق جديد على أبنائه ، فقد جُند الابن الأكبر ووقع فى الأسر ، ومرض الثانى وأجريت له عملية جراحية . وتفاقم المرض النفسانى على زوجته التى ما أن رأت ابنتها تعطف على أبيها وتخدمه فى وحدته حتى أخذت ، فى خبالها ، تضطهدها حتى ضاقت الفتاة ذرعاً وحاولت الانتحار .

وفى هذه الأثناء سافر پيراندللو إلى باريس وقضى ردحاً من الزمن متصلا ببعض الأدباء والناشرين والمعجبين ، وأخذ يوالى الكتابة وزار بعض البلاد الأوربية الأخرى وهو يوالى كتابة القصص والمذكرات وانطباعات حياته ، وهى كتابات لا يمكن إهمالها لمن يريد فهم مجرى حياته وأفكاره فهماً حقيقياً .

هذا نوع من المتاعب التى كان يتعرض لها الأديب من زوجته وكان مرضها العقلى يزداد ، ثم قبلت بل عملت على أن تذهب إلى مصحة ، ولا حاجة بنا لذكر التفصيلات غير أنه بانتقال الأم إلى المصحة عادت الابنة إلى الدار وجاءت المدنة ، وجاء الغلامان المجندان وصارت داراً هادئة ، ولكنه الهدوء الذى يعقب الكوارث .

كان پيراندللو إلى نهاية تلك الحرب الكبرى يفضل القصص ويجد فيها ملاذه وإن كتب بين حين وآخر كوميديات ، ففى تلك الفترة من زمن الحرب ألّف ثلاثا

منها هى : « كما كان من قبل بل ، خيراً من قبل » و « ذلك من الخير » و « مدام مورلى رقم (١) ، (٢) »

وكان الفراغ يخيم من حوله فلم يعد يفكر أو يتحدث إلا للشخصيات التى تنشأ فى ذهنه وقد نشأت فى ذلك الوقت شخصيات رأى أن يصبها فى قصة ولكنه لم يفعل ، والآن بعد أن هدأت العاصفة قليلا ، لم يجد لديه الشجاعة ليظل فى نضال مستمر ، ورأى أن الوقت حان ليكتب قصته بدلا من استمرار التفكير فيها . ولكنه لم ينجح فى جعل الشخصيات تعيش ، أجل ، إنه رسم الشخصيات ، ولكنه لم يجد العقدة . وكانت الشخصيات لإناس مسهم الضر ، فهى قصة أب يجد ابنة زوجته فى دار للدعارة وهى تأبى الخضوع لغرائز الرجل الذى يرفض الشيخوخة ، وكان لدى بيراندللو كل العناصر التى تقوم عليها قصة ممتازة ، ولكن القصة لا تسير ، وعجز عن كتابتها وظلت تدور فى ذهنه بضع سنوات تراوده ، وقد تحدث عنها إلى ابنه ، منذ سنة ١٩١٥ ولكنه لم يحقق فكرتها .

وعلى ذلك رأى أن يتحدث عن هذه الشخصيات وعما دار فى ذهنه بشأنها : فكرة المؤلف الذى لم يستطع تحقيق شخصياته على الورق فيطلقها إلى حيث تستطيع العيش ؛ وأين تعيش إذن ؟ فى المسرح ، أمام خشبة المسرح وأضوائه ؟ ومن تقصد هذه الشخصيات ؟ مدير المسرح

بالطبيعة حيث إن المؤلف لم يعد راغباً فيها ، فله مشاغله وأرزاؤه وهى الآن تريد أن تعيش .

هذه هى قصة مسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » ولا بد لنا من تسجيل ما حـــدث فى الليلة الأولى لتمثيلها على مسرح ڤاللى دى روما (سنة ١٩٢١) إذ أخذ الشباب فى التصفيق تصفيقاً هائلا متصلا حتى كلت أيديهم ، أما الجالسون فى الشرفات وفى المقاعد المرتفعة الأسعار ، فما سمعوا التصفيق المتواصل لجمهور الشباب حتى جمعوا أصواتهم ، وأخذوا يصيحون فى نغم منتظم « مهرج ، مهرج ، مهرج » وصاح البعض « إلى المجاذيب ! إلى المجاذيب »

انقسم الجمهور شيعاً تعلى رأيها وتجهر به ، ووقف نحو العشرين شخصاً فى شرفة يتحادثون ويعلنون سخطهم فى صوت مرتفع ، فقفز إليهم متسلقاً ، شاب وسيم أنيق الثياب ، هو أديب وشاعر ، محاولا أن يشتبك معهم فى عراك .

وتجمع فوق المسرح جمع كبير من الممثلين والصحفيين والنقاد يتحدثون ويتناقشون .

وكانت المسرحية قد انتهت منذ نصف ساعة ولكن الجمهور يتناقش ولا يريد أن يبرح القاعة .

وكان المؤلف على غير عادته حاضراً فى تلك الليلة جالساً مع ابنته فى شرفة . ودعى للمثول على المسرح فقبل ، ووقف

يحيي الجمهور ، ولم يقابل بالهتاف الودى المعتاد بل قوبل بحرب قائمة بين معسكرين .

ولم يستطع الخروج إلا بعد أربعين دقيقة فرأى جموعاً تتألف من نحو سبعمائة شخص تنتظر خروجه ، فيهتف له البعض ، والبعض يحاول أن يتعارك معه وشد أحدهم ثوب ابنته فكاد يغمى عليها وظل لا يستطيع الحراك ، إلى أن أنقذه ضابط ذو مرتبة عالية أوقف سيارته واجتذبه وابنته من بين الجموع وأوصلهما إلى دارهما .

ونقلت الصحف فى اليوم التالى أنباء مشاجرات حدثت بين الجمهور المتجمع .

ثم كانت الشهرة ، وكان المجد والتكريم فى سائر البلاد ، وقامت شهرته فى أنحاء العالم على المسرح قبل أن تقوم على الفن القصصى ، وإن كان فنه القصصى لا يقل روعة عن مسرحياته .

وقد أخرج پيراندللو فى حياته نحو ثلاثمائة قصة قصيرة وست قصص طويلة وخمسين مسرحية .

فالمسرح هو الذى لفت أنظـــار العالم إليه وإذا كانت مؤلفاته ذاعت شهرتها من بعد وترجمت إلى كثير من اللغات ، فإنما كان ذلك بعد أن عرفه الناس من مسرحه . وأكرمته إيطاليا والدول الأوربية حتى أهدى جائزة نوبل فى سنة ١٩٣٤ ، اعترافاً بفضله على الأدب . وظل پيراندللو عاكفاً

على الكتابة والتأليف إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٣٦ .

فما هي نزعة پيرندللو وفلسفته ، وما هو فنه الذى جذب إليه الأنظار ؟ قيل أن لپرندللو قطعاً فلسفة . ففى مسرحية « ست شخصيات تبحث عن موءلف » وفى غيرها من المسرحيات ، يرينا شيئا جديداً على المسرح ، فيشرح لنا فكرة فلسفية خلاصتها أن الأمور فى الحياة ليست كما تبدو للإنسان فى ساعة أو لحظة من اللحظات ، بل هى شئ غير ما يبدو للناظرين . وهو يحب أن يسمى هذا الشئ « الخيال » كما قال فى مقدمته لمسرحية ست شخصيات . فهو يقول ما معناه إن هنالك فى خدمة فنه منذ سنوات خادمة تسمى الخيال (فنتزيا) تبدو فى منتهى النشاط وليست حديثة فى المهنة ويصفها بأنها غريبة الأطور تبدو أحياناً مبتسمه ضاحكة وتبدو أحيانا عابسه ومتشحه السواد ، ولكنها دائماً جادة فيما تفعله .

هذا هو وصفه لخياله وملكته وهو وصف بعيد عن الفلسفة وإن كنا نجده فى مسرحية « الأمر كما يبدو لك » وفى مسرحية « هنرى الرابع » كما نجده فى مسرحية « ست شخصيات » وفى غيرها من المسرحيات .

قال بعض النقاد إن پيراندللو يرمى دائما إلى أمر واحد هو أن يبرهن على أن الحقيقة أمر نسبى ، فكثيراً ما نخطئ الحقيقة ويلتبس علينا الأمر ، وإن فى الحقيقة مستويات

عديدة تتراوح بين الصدق والكذب وإن الشخصية فى أحد الناس لها جوانب متعددة ، وهذا هو مرمى مسرحياته ومرمى فلسفته ، على أنه لو كان هذا القول يبين غرضه ، ثم جعل يبرزه المرة بعد المرة فى مختلف المسرحيات لملّه الناس، وقدم العهد بمسرحياته فمن الخير ألا نعتبره صاحب فلسفة ثابته لاتتغير .

فليس پيراندللو إلاّ فنانا قبل كل شئ وبعد كل شئ وطرافته وبراعته فى مسرحياته إن هى إلاّ نسج الخيال ، كما يقول ، وهو يخفى الحقيقة لأنه يرى ذلك من طبيعة المسرح ، أو بمعنى أقرب إلى روح المسرح ، إنه يلقى على الحقيقة قناعاً يحجبها ، والقناع أمر مألوف فى المسرح بل كان هو القاعدة فى المسرح اليونانى . وإن المشاهد ليرى الممثلين من خلف قناع ، وإن كان وضع القناع قد بطل فعلا فى المسرح الحديث ، وقد حاول أكثر من مؤلف مسرحى أن يعود إلى القناع فى مسرحياته ، وقد أشرنا من قبل إلى كيارللى و مسرحيته « القناع والوجه » كما فعل غير واحد من المؤلفين الحديثين .

لقد مرت على المسرح فى حياته الطويلة تيارات عديدة كان أثبتها هو التيار الواقعى الذى ساد القرن العشرين حتى ظن أن المسرح لن يعيش إلا فى ظل الواقعية وأنه قطعة من الواقع ونسى ممثلو المسرح أنهم يمثلون ، بل اعتبروا أنفسهم

جزءاً من الحياة . وظن رواد المسرح أنهم لايشاهدون قصة من قصص الخيال بل ما يشاهدونه هو الحقيقة وجزء من الواقع . وجاء فن جديد أغار على المسرح ، وهو السينما ، وكاد ينتزع منه السيطرة بل يخمد أنفاسه . ولكن پيراندللو عرف بأسلوبه الجديد ، كيف يردّ إلى المسرح الشباب وعاش المسرح إلى جانب السينما متآخيين ، بدلا من أن يقضي الفن الحديث قضاء مبرما على الفن القديم .

حسن محمود


الشخصيات
شخصيات المسرحية التي يتم تمثيلها فعلا
الأب * الأم
الابن * ابنة الزوجة
الولد «شخصية غير متكلمة»
الفتاة الصغيرة «شخصية غير متكلمة»
مدام باتشي
شخصيات
الفرقة
المسرحية
المدير وهو كبير الممثلين
الممثلة الأولى * الممثل الأول
الممثلة الثانية * الممثلة الشابة
الممثل الشاب * ممثلات وممثلون آخرون
مدير المناظر * الملقن * عامل الملابس
الميكانيكي * سكرتير المدير * بواب المسرح
بعض المساعدين
والعمال الآخرين

الوقت نهاراً ، خشبة المسرح عارية

ملحوظة هامة : هذه المسرحية بلا فصول ولا مناظر ، يتوقف فيها التمثيل مرتين . المرة الأولى لا يسدل فيها الستار وذلك عند ما يغادر المدير ومدير المناظر خشبة المسرح ليكتبا السيناريو ، وكذلك يغادره الممثلون . والمرة الثانية يسدل فيها الستار خطأ عند ما يسهو الميكانيكى فينزل الستار .

ست شخصيات تبحث عن مؤلف

عند ما يدخل المتفرجون قاعة المسرح ، يكون الستار مرفوعاً والمسرح نفسه كما هو طوال اليوم ، فليست هناك مناظر أو « ديكورات » ، وهو خال وفى شبه ظلام ، وذلك كى يشعر المتفرجون من البداية أنهم يشاهدون مسرحية لم يتم إعدادها بعد .

وهنالك درجتان من السلالم إحداهما إلى يمين المسرح والأخرى إلى يساره ، تؤديان إلى الصالة .

وقد أزيح صندوق الملقن من مكانه ، ووضع على أحد الجوانب ، وفى مقدمة خشبة المسرح منضدة صغيرة ومقعد ذو مسند أدير كتفه ناحية النظارة . إنه المقعد الخاص بالمدير .

منضدتان أخريان إحداهما أكبر من الثانية ، مع عدة كراسى حولها صفت كلها فى مقدمة المسرح حتى تكون فى متناول اليد عند الحاجة إليها أثناء إجراء التجربة . وعدد آخر من المقاعد متناثرة هنا وهناك يميناً ويساراً للممثلين ، وآلة بيانو فى مؤخرة المسرح تكاد تختفى فى جانب منه .

عند ما تطفأ أنوار القاعة يدخل الميكانيكى من الباب المؤدى إلى خشبة المسرح يرتدى ثياباً زرقاء حاملا أدواته فى حقيبة معلقة فى خصره . يلتقط بعض ألواح « الديكور » من أحد أركان المسرح ، ويتقدم بها إلى الجزء الأمامى ، ويركع على ركبتيه ثم يبدأ دق الألواح بعضها ببعض . عند سماع صوت الدق يهرول مدير المناظر مندفعاً من باب حجرة الملابس .

مدير المناظر : أوه ! ماذا تفعل ؟

الميكانيكى : ماذا أفعل ؟ أدق ...

مدير المناظر : فى هذا الوقت ؟

[ينظر إلى ساعته]

لقد بلغت الساعة العاشرة والنصف ، الآن سيصل المدير بعد لحظات لإجراء التجربة .

الميكانيكى : يجب يا سيدى أن يتاح لى الوقت لأؤدى عملى .

مدير المناظر : وهو كذلك ، ولكن ليس الآن .

الميكانيكى : متى إذن ؟

مدير المناظر : بعد أن تنتهى التجربة . هيا . هيا . ارفع كل شىء من هنا ودعنى أهيئ المكان لمسرحية « لعبة الأدوار » .

يجمع الميكانيكى أدواته وقطعه الخشبية وهو يتمتم ويزمجر ويغادر المسرح . وفى هذه الأثناء يدخل ممثلو الفرقة من رجال وسيدات عن طريق الباب الخلفى . يدخل أحدهم أولا ثم يدخل آخر ، ويتبعه اثنان آخران بالطريقة التى تحلو لهم : مجموع الممثلين تسعة أو عشرة وهو العدد اللازم لتمثيل مسرحية « بيراندللو » « لعبة الأدوار » التى حدد لها ذلك اليوم . أثناء دخولهم المسرح ، يحيى كل منهم الآخر ويحيون مدير

المناظر بقولهم « صباح الخير » يقولها كل منهم مبتسما بابتهاج . يذهب بعضهم إلى حجرات ملابسهم ، والآخرون وبينهم الملقن الذى يحمل نسخة المسرحية تحت إبطه ، يبقون على المسرح فى انتظار حضور المدير لبدء التجربة . البعض جالس والبعض الآخر يقف فى مجموعات صغيرة يتبادلون الأحاديث فيما بينهم . يشعل بعضهم سيجارة ، ويشكو البعض من الدور الذى أسند إليه ، والبعض يقرأ على زملائه فقرة من جريدة مسرحية .

ومن الأفضل أن يرتدى الممثلون والممثلات ملابس فاتحة زاهية تعبر عن البهجة . ويجب أن يؤدى الممثلون المنظر الأول بطريقة طبيعية مليئة بالحيوية . ويمكن فى هذه الفترة أن يجلس أحد الممثلين على البيانو ويعزف بعض المقطوعات الموسيقية الراقصة ، فيبدأ الممثلون والممثلات الأكثر شباباً فى الرقص .

مدير المناظر : [يصفق بيديه ليلفت نظرهم لمراعاة النظام] هيـــا بنا ، هيا بنا ، كفاكم هذا .. لقد جاء السيد المدير .

[تتوقف الموسيقى والرقص فى الحال . يلتفت الممثلون وينظرون إلى القاعة ، فيرون المدير داخلا من باب الصالة ، ويسير فى الممر بين مقاعد النظارة على رأسه قبعة ثقيلة ويحمل عصا صغيرة تحت ذراعه ، وهو يضع سيجاراً ضخماً بين شفتيه ، ويحييه الممثلون ، ثم يصعد إحدى درجات السلم المؤدى إلى المسرح . ويتقدم إليه السكرتير بالبريد ومسرحية مغلفة].

المدير : رسائل ؟

السكرتير : هذا هو كل البريد الذى وصل .

المدير : [يرد إليه أصول المسرحية بغلافها] ضعها فى مكتبى .

[يتلفت حوله، ثم يلتفت إلى مدير المناظر] أوه لا أكاد أرى . قليل من الضوء إذا سمحت .

مدير المناظر : فى الحال !

[يغادر المسرح ليصدر أوامره . وبعد لحظة يغمر الجانب الأيمن من المسرح ، حيث يقف الممثلون والممثلات ، ضوء قوى أبيض . وفى هذه الأثناء يكون الملقن قد احتل مكانه من المسرح وأضاء النور فى صندوقه ، وينشر أمامه نسخة المسرحية] .

المدير : [مصفقاً بيديه] هيا بنا ، لنبدأ الآن .

[إلى مدير المناظر] هل من غائب ؟

مدير المناظر : الممثلة الأولى .

المدير : كالعادة [ينظر إلى ساعته] لقد تأخرنا عشر دقائق إلى الآن . أرجو احتساب هذا التأخير حتى تتعلم المحافظة على مواعيد التجربة.

[لا يكاد ينتهى من حديثه حتى يسمع صوت الممثلة الأولى من نهاية الصالة]

الممثلة الأولى : لا ، لا ، أرجوك . أنا هنا . لقد وصلت ...

[ترتدى ملابس بيضاء ، وقبعة كبيرة مثيرة ، وتحمل بين يديها كلباً صغيراً . تهرول فى الممر المؤدى إلى

المسرح ثم تصعد بسرعة إحدى درجات السلم إلى المسرح] .

المدير : هكذا تصرين على أن ننتظرك دائماً .

الممثلة الأولى : عذراً . طال بحثى عن سيارة أصل بها إلى هنا فى الوقت المناسب . ولكنكم لم تبدأوا على أية حال ، ودورى فى المسرحية يأتى متأخراً .

[تنادى مدير المناظر باسمه مباشرة وتعطيه كلبها الصغير]

احبسه فى غرفة ملابسى إذا سمحت .

المدير : [مزمجراً] الكلب . . . لسنا فى حاجة إلى المزيد من الكلاب .

[يصفق بيديه إلى الممثلين ويلتفت إلى الملقن] هيا ، هيا ، الفصل الثانى من مسرحية « لعبة الأدوار » [يجلس على المقعد] .

الآن أيها السادة من عليه الدور ؟

[يخلى الممثلون والممثلات الجزء الأمامى من المسرح ويجلسون فى جانب واحد عدا الثلاثة الذين سيبدأون التجربة ومعهم الممثلة الأولى ، التى لم تهتم لطلب المدير ، فتجلس إلى إحدى المناضد الصغيرة]

المدير : [للممثلة الأولى] آه أنت إذن مشتركة فى هذا المشهد ؟

المثلة الأولى : أنا ؟ لا يا سيدى .

المدير : [متضايقاً] قومى ابعدى عن هذا المكان ...

[تنهض الممثلة الأولى من مكانها وتجلس مع الآخرين الذين يكونون قد ابتعدوا عن مكان التمثيل] .

المدير : [للملقن] ابدأ الآن ... ابدأ .

الملقن : [يقرأ من نسخة المسرحية أمامه] « منزل ليونى جالا . حجرة غريبة : نصفها حجرة مائدة والنصف الآخر حجرة مكتب » .

المدير : [موجها كلامه إلى مدير المناظر] سنستخدم القاعة الحمراء .

الملقن : [يستمر فى القراءة من نسخة المسرحية] منضـــدة معدة للطعام ، ومكتب عليه كتب وأوراق ورفوف عليها كتب كثيرة . واجهات بها تحف ثمينة . باب خلفى يؤدى إلى المطبخ . المدخل الرئيسى إلى اليمين .

المدير : [ينهض مشيراً بيده] حسن . والآن انتبهوا جيداً ، هنا .. المدخل الرئيسى . وهنا ، المطبخ .

[إلى الممثل الذى سيمثل دور سقراط] . . ستدخل وتخرج من هذا الجانب [إلى مدير المناظر] ، نريد باراڤانا فى المؤخرة وبعض الستائر . [يعود إلى الجلوس] .

مدير المناظر : [يدون مذكرة] وهو كذلك .

الملقن : [يستمر فى القراءة من نسخة المسرحية أمامه] :
المنظر الأول ، ليونى جالا ، جويدو فينانزى ، فيليبو المسمى سقراط .
[إلى المدير] ، هل يجب أن أقرأ التوجيهات أيضاً ؟

المدير : نعم ! نعم ! . . قلت ذلك من قبل مائة مرة .

الملقن : [يقرأ] عند ما ترفع الستار ، يظهر ليونى جالا مرتدياً قبعة طباخ ومئزراً يخفق بيضة فى وعاء بملعقة خشبية . فيليبو كذلك يرتدى ملابس طباخ . يخفق بيضة أخرى . جويدو فينانزى ينصت جالساً . .

الممثل الأول : معذرة ! ولكن هل يجب أن أضع على رأسى قبعة الطباخ هذه ؟

المدير : [تثيره الملاحظة] قطعاً ! هذا ما كتب هنا . [يشير إلى نسخة المسرحية] .

الممثل الأول : معذرة ! إنه شىء يدعو للسخرية .

المدير : يهب واقفاً : يدعو للسخرية ! ماذا تتوقع منى أن أفعل . . لم يعد يرد إلينا من فرنسا مسرحيات أفضل من هذه . فلم

يبق أمامنا إلا عرض مسرحيات براندللو التي لا يفهمها إلا الأذكياء ، كأنما مسرحياته موضوعة قصداً لكيلا يرضى عنها المثلون ولا النقاد ولا الجمهور .

[الممثلون يضحكون، ثم ينهض المدير متجهاً إلى الممثل الأول ويصيح فيه]

نعم يا سيدى . قبعة طباخ تلبسها ! تخفق البيض ! وهل تعتقد أن المسألة تقتصر على أن تشغل نفسك بخفق هذا البيض .. ولا يبقى فى يديك شىء ؟ كن حصيفاً ! يجب أن تمثل قشرة البيضة التى تخفقها .

[يبدأ الممثلون فى الضحك ، ويتهكمون فيما بينهم]

أرجو الهدوء ! واستمعوا إلىّ عندما أشرح !

[إلى الممثل الأول]

نعم يا سيدى ، قشرة البيضة .. تعنى الصورة الفارغة للعقل دون امتلائها بالمخ ، وهو الغريزة . فهى حينئذ عمياء . فأنت العقل ، وزوجتك الغريزة .. وفى لعبة الأدوار تقوم بدورك المسند إليك، وفى الوقت ذاته تكون دمية نفسك . هل فهمت ذلك ؟

المثل الأول : [فاتحاً ذراعيه] أنا ؟ لا .

المدير : [يعود إلى مكانه ويجلس] ولا أنا ! على كل

لنستمر ، وبعد ذلك يمكنكم أن تعربوا لى عن إعجابكم فى النهاية [فى لهجة الناصح] أقترح أن تستدير للجمهور بحوالى ثلاثة أرباع وجهك . وإلا فمع غموض الحوار ، وعدم قدرتك على إسماع صوتك للجمهور ، ضاع كل شىء [ثم يصفق للممثلين] هيا . هيا دعونا نبدأ .

الملقن : معذرة يا سيدى . أتسمح لى بأن أعيد الصندوق إلى مكانه فإنى أشعر بتيار هواء ! !

المدير : أى نعم ! لا مانع ؛ أعده . .

[فى نفس الوقت يدخل بواب المسرح وقد وضع قبعته على رأسه ، وبعد أن يعبر القاعة من المسرح ليعلن للمدير وصول ست شخصيات ، ويتقدم هؤلاء الأشخاص أيضاً فى القاعة وهم ينظرون حولهم وتبدو عليهم الحيرة والارتباك .

عند إخراج هذه المسرحية على المسرح يجب أن تستخدم جميع الوسائل كى لا يكون هناك أى خلط بين الشخصيات والممثلين مما يؤدى إلى عدم القدرة على التمييز بين الفريقين . ووضع كل مجموعة كما هو موضح فى التوجيهات المسرحية بعد صعود الشخصيات الست على المسرح سيساعد دون شك على تمييز كل جماعة عن الأخرى ، كما يمكن استعمال إضاءات عاكسة تميز أحد الفريقين .. ولكن أفضل طريقة تقترح هنا لتمييز كل مجموعة عن الأخرى ، هى استخدام الأقنعة

الشخصيات . أقنعة لا تتأثر بالعرق وتكون خفيفة بحيث يستطيع الممثلون الذين يؤدون دور الشخصيات وضعها . ويجب أن تصمم الأقنعة بحيث تبقى العينان والأنف والفم حرة . وبهذه الطريقة يمكن إظهار المعنى الحقيقي للمسرحية .

والواقع أن الشخصيات لايجب أن تبدو كالأشباح ، بل كالحقائق المخلوقة التى يبدعها الخيال والتى لا تتغير : وبذلك يجب أن تبدو أكثر حقيقة وأكثر ثباتاً من الممثلين العاديين الذين تتغير طبائعهم باستمرار . . . وستساعد الأقنعة كذلك على الإيحاء بأن الشخصيات عبارة عن مخلوقات كونها الفن ، كل منها قد ارتسم عليه الشعور الذى تتميز به . أو بمعنى آخر يكون الندم هو الشعور الغالب على الأب ، والانتقام هو شعور ابنة الزوجة ، والاحتقار هو الشعور الذى يرتسم باستمرار على وجه الابن ، والأسى على الأم بدموع على قناع متساقطة من ناحية العينين وعلى طول الوجنتين كتلك الدموع المحفورة والمرسومة على تمثال « الأم الحزينة » الذى يرى فى الكنائس . يجب أن تكون الثياب كذلك من نسيج من مادة خاصة دون مبالغة ، ثنيات حادة . وفى الجملة بطريقة لا توحى بأنها صنعت من قماش يمكن أن يشترى من أى متجر فى المدينة أو يفصل أو يطرز لدى أى مصنع للملابس .
الأب : رجل أشرف على الخمسين ليس أصلع الرأس تماماً ، ولكن شعره يبدو خفيفاً عند السوالف ، ويكسو جسمه شعر أحمر ، شاربه كث يغطى فمه الذى ما زالت تبدو عليه سمات الشباب ، وكثيراً ما تتدلى شفاة هذا

الفم فى ابتسامة غير ذات معنى ، لونه يميل إلى الاصفرار ، ويبدو ذلك واضحاً عند ما تتاح الفرصة للنظر إلى جبهته العريضة ، عيناه زرقاوان لها نظرة حادة متفحصة ، يرتدى سترة داكنة ، وسروالا فاتح اللون ، أحياناً يتصرف برقة ، وأحياناً أخرى يبدو جافاً خشناً .

الأم : تبدو كامرأة حطمها ثقل كبير من الخزى والعار وتضع على وجهها نقاباً أسود داكن اللون كنقاب الأرامل وترتدى ثوباً أسود متواضعاً . عند ما ترفع هذا النقاب يبدو وجهها كأنه قد من الشمع ، لا تبدو عليه أية صورة من صور المرض أو الهزال ، تنظر بعينيها إلى الأرض طوال الوقت .

ابنة الزوجة : فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها . . . يبدو عليها التحدى والجرأة بلا خجل . جميلة للغاية ، ترتدى كذلك ثياب الحداد ، ولكنها تتعمد أن تبدو أنيقة فى هذا الرداء . تبدى كذلك احتقارها لتصرف أخيها الصغير الذى يتسم بالجبن والانعزال والخجل . وأخوها ولد صغير يبلغ الرابعة عشرة من العمر يرتدى كذلك ثياب الحداد ، ومن ناحية أخرى تبدى عطفاً على أختها الصغيرة ، وهى طفلة فى حوالى الرابعة ترتدى ثوباً أبيض تحليه بشريط أسود من الحرير حول خصرها .

الابن : فتى طويل القامة فى الثانية والعشرين ، يبدو كأنه مملوء بشعور من الاحتقار للأب ، وعدم المبالاة تجاه الأم . يرتدى معطفاً بنفسجى اللون ويضع حول عنقه وشاحاً أخضر .

بواب المسرح : [قبعته فى يده] معذرة يا سيدى .

المدير : [يستدير إليه فى جفاء] ماذا أيضاً ؟

بواب المسرح : [فى استحياء] بعض النـــاس يسألون عنك يا سيدى .

[المدير والممثلون يستديرون فى دهشة إلى الشخصيات الست تجاه الصالة]

المدير : [فى غضب] ولكننا فى التجربة الآن ! ! وأنت تعلم جيداً أنه غير مسموح لأحد بدخول المسرح أثناء تجربة المسرحية !

[يوجه كلامه بعيداً] من أنتم أيها السادة وماذا تريدون ؟

الأب : [يتقدم إلى الأمام يتبعه الآخرون حتى يصل إلى إحدى درجات السلم] نحن نبحث عن مؤلف.

المدير : [بين الدهشة والغضب] تبحثون عن مؤلف ؟ من هذا المؤلف ؟

الأب : أى مؤلف ياسيدى .

المدير : ولكن لايوجد مؤلفون هنا لأننا لا نجرى تجربة على أية مسرحية جديدة .

ابنة الزوجة : [بحيوية تصعد السلم فى عجله] هذا أفضل ! هذا أفضل ! يمكننا أن نكون نحن مسرحيتك الجديدة .

أحد الممثلين : [بين تعليقات الممثلين الآخرين اللاذعة وضحكهم]

أوه . . أتسمعون ! أتسمعون !

الأب : [يتبع ابنة الزوجة صاعداً المسرح] حقاً . مادام لا يوجد مؤلف ، [إلى المدير] إلا إذا أردت أنت أن تكون المؤلف .

[ثم تمسك الأم بالإبنة الصغيرة فى يدها ، وتصعد ومعها الولد الصغير أولى درجات السلم ، ويبقون هناك منتظرين . يظل الابن واقفاً أسفل المسرح فى وجوم]

المدير : لعل السادة يهزلون ؟

الأب : لا ، كيف تقول ذلك ! نحن على العكس نتقدم إليك بمأساة مؤلمة .

ابنة الزوجة : ويمكن أن نكون مصدراً لثرائك .

المدير : هل تتكرمون بترك هذا المسرح ! فليس لدينا وقت نضيعه مع المعتوهين .

الأب : [يبدو وكأن هذا الكلام قد خدش كبرياءه ، ولكنه يقول فى لهجة رقيقة] أوه ، ولكنك تعرف جيداً أن الحياة مليئة بمساخر لا تنتهى ، مليئة بأشياء تبلغ من السخرية حداً لا تصبح معه فى حاجة إلى التستر فى ثياب الحقيقة ، لأنها هى الحقيقة نفسها .

المدير : يا للشيطان ، ماذا تقول ؟

الأب : أقول إن الجنون بعينه هو أن نحاول أن نفتعل العكس ، أعنى أن نخلق مما له جميع مظاهر الحقيقة شيئاً شبيهاً بالحقيقة ، وهنا ينبغى أن ألفت عنايتك إلى أنه إذا كان هذا هو الجنون بعينه فهو السبب أيضاً فى وجود مهنتك هذه .

[ينفعل الممثلون إذ يشعرون بالإقلال من شأنهم]

[المدير : [ينهض واقفاً وينظر إليه من أخمص قدميه إلى قمة رأسه]

أحقاً ؟ هل تظن أن مهنتنا هى مهنة مجانين ؟

الأب : نعم . إذا كنت تعمل على أن يبدو ما ليس حقيقياً كأنه الحقيقة دون حاجة إلى ذلك بل للهزل فقط . أليس عملك أن تضفى الحياة على المسرح لشخصيات خيالية .

المدير : [فى الحال ويتكلم بلسان جميع الممثلين الذين ظهر عليهم الامتعاض والغضب] أريدك يا سيدى العزيز أن تتأكد أن مهنة الممثل الكوميدى هى غاية فى النبل . وإذا كنا فى هذه الأيام نرى السادة المؤلفين يقدمون لنا كوميديات هزيلة لنمثلها ، تقوم على دمى بدل الأشخاص ، فلتعلم أن مما نفخر به على خشبة هذا المسرح إننا أعطينا الحياة لأعمال خالدة .

[الممثلون مغتبطون، مؤيدين المخرج ،ثم يصفقون له]

الأب : [مقاطعاً ، ومستمراً فيمناقشته فى حدة] بالضبط ! لكائنات حية ، لكائنات أكثر حياة من التى تتنفس وترتدى الثياب ! ربما أقل واقعية ولكنها أكثر حقيقة ! إننا متفقون تمام الاتفاق .

[ينظر الممثلون بعضهم إلى بعض فى دهشة بالغة]

المدير : كيف ! لقد سبق لك أن قلت . . .

الأب : لا ، معذرة ، كنت أوجه ذلك الحديث لأنك صرخت فينا قائلا : ليس لديك وقت تضيعه مع المعتوهين ... بينما أنت تعرف جيداً أن الطبيعة تستفيد كثيراً من أداة الخيال الإنسانى ليتم الخلق على مستوىأعلى.

المدير : فليكن . فليكن ولكن ماذا تريد أن تستنتج من كل هذا ؟

الأب : لا شيء ياسيدى . لقد أردت فقط أن أوضح لك أن الكائنات توجد فى هذه الحياة على أشكال كثيرة . . وبطرق مختلفـــة . . كالشجر أو الحجر ، كالماء أو الفراشة أو المرأة وهكذا تولد أيضاً الشخصيات .

المدير : [فى تهكم محاولا إخفاء دهشته] معنى ذلك أنك

أنت ومن حولك قد ولدتم شخصيات .

الأب : فعلا ياسيدى ، وشخصيات حية كما ترى .

[ينفجر المدير والممثلون ضاحكين]

الأب : [يتأثر من ذلك] إنى آسف لأنكم تضحكون منا ، لأننا نحمل فى أنفسنا وأكررها ، مأساة رهيبة. ويمكنكم أن تستدلوا على ذلك من هذه المرأة ذات النقاب الأسود .

[وعندما يقول ذلك يمد يديه إلى الأم ليساعدها على صعود الدرجات الأخيرة إلى المسرح ، ثم يقودها وهو ما زال ممسكاً بيديها إلى الناحية الأخرى من المسرح التى يغمرها فجأة ضوء خيالى غريب . الابنة الصغيرة والفتى الصغير يتبعان الأم ، ثم تتبعه ابنة الزوجة وتقف فى الجزء الأمامى من المسرح مستندة إلى الحائط . الممثلون فى أول الأمر يؤخذون بما حدث ، وتبدو عليهم الدهشة البالغة ، ثم يلقى هذا التطور إعجابهم فيصفقون كأن هناك تمثيلية تجرى أمامهم] .

المدير : [يبدو مندهشاً ثم يقول وقد جرح كبرياؤه] اسكتوا . . . سكوت .

[إلى الشخصيات] وأنتم اخرجوا من هنـــا ، اخلوا هذا المسرح .

[إلى مدير المناظر] أخرجهم من هنا .

مدير المناظر : [يتقدم إلى الأمام ، ثم يقف كأن قوة غريبة أوقفته فى مكانه] هيا اخرجوا ، هيا !

الأب المدير : لا ، لا ، استمع ..... نحن ....

المدير : إنى أقول لكم لدينا الكثير من الأعمال .

الممثل الأول : ليس من المستحب أن تستمر فى الهزل بهذه الطريقة .

الأب : [بإصرار ، يتقدم إلى الأمام] إنى أعجب لعدم ثقتكم فينا . ربما يرجع ذلك إلى أنكم لم تعتادوا رؤية الشخصيات التى يخلقها المؤلف تبرز إلى الحياة فجأة بهذه الطريقة ، يقابلون بعضهم بعضاً وجهاً لوجه ؟ أو ربما يكون السبب عدم وجود نسخة المسرحية هنا [يشير إلى صندوق الملقن] تحتوينا ؟

ابنة الزوجة : [تقترب من المدير وهى تبتسم ثم تقول فى صوت رقيق] صدقنى يا سيدى نحن حقاً ست شخصيات وشخصيات مسلية للغاية ! ولكن قطعت بنا السبل .

الأب : [يزيحها جانباً] نعم ، هذا صحيح ! لقد قطعت بنا السبل [ثم يقول فى الحال للمدير] أريد أن أقول إن المؤلف الذى خلقنا كائنات حية لم يرد أو لم يستطع أن يضعنا فعلا فى عالم الفن . وهذا حقاً جرم بالغ يا سيدى ، لأن هذا الذى قدر له أن يولد شخصية روائية حية يمكنه أن يهزأ حتى من

الموت . ولن يموت من بعد ، إن الإنسان يموت ويموت المؤلف وهو أداة الخلق ، ولكن الشخصية المخلوقة تبقى فى الحيـــاة وليس عليها أن تكون ذات مواهب خارقة أو تأتى بمعجزات . من كان « سانكوبانزا » من كان « دون ابونديو » ؟ ومع ذلك فهما يعيشان إلى الأبد ، لأنهما بذور حية وجدت الفرصة لكى تنمو فى منبت خصب . خيال عرف كيف يغذيها وينميها ، ويبعث فيها الحياة إلى الأبد !

المدير : كل هذا كلام جميل حقاً ! كلام فى غاية الروعة . . . ولكن ماذا تريدون منا هنا ؟

الأب : نريد أن نعيش ياسيدى !

المدير : [فى تهكم] . . . . إلى الأبد ؟

الأب : لا يا سيدى ، على الأقل نعيش لحظة واحدة . . . . نعيش فيكم .

أحد الممثلين : انظروا . . . انظروا ! !

الممثلة الأولى : يريدون أن يعيشوا فينا !

الممثل الشاب : [يشير إلى ابنة الزوجة] ليس لدى أى اعتراض إذا كانت هذه من نصيبى !

الأب : انتبهوا . . . انتبهوا . . . إن المسرحية يجب أن تعدّ .
[المدير] : ولكن . . . إذا كنت أنت تريد ويريد ممثلوك فيمكن الاتفاق فيما بيننا الآن دون تأخير .

المدير : [متضايقا] ما الذى تريد الاتفاق عليه ؟ ليس هنا مجال الاتفاقات . . . إننا نقوم بتمثيل مسرحيات جدية أو هزلية فقط !

الأب : بالضبط ؟ ولهذا قصدنا إليك ! ! !

المدير : وأين نسخة المسرحية ؟

الأب : المسرحية فينا نحن ياسيدى .
[الممثلون يضحكون] إن المأساة فينا . . . نحن المأساة ولم نعد نستطيع الصبر وفينا تستعر العاطفة .

ابنة الزوجة : [بلهجة ساخرة فيها روح الغدر والإغراء وعدم الخجل المتعمد] عاطفتى أنا ، آه ، لو تعرفون أيها السادة ! عاطفتى أنا ... عاطفتى نحوه .
[تشير إلى الأب وتأتى بحركة كأنها ستعانقه ، ولكنها تنفجر فى ضحكة صاخبة]

الأب : [بغضب شديد] . أرجوك الزمى مكانك الآن ولا تضحكى بهذه الطريقة ! !

ابنة الزوجة : لا أستطيع ! إذن فلتسمعوا أيها السادة

ولو أنه لم يمض على وفاة أبى إلا شهران
فقط ... إلا أنكم يجب أن تشاهدوا كيف
أغنى وأرقص ...

[تبدأ فى غناء أغنية فرنسية « احذر من تشو تشين — تشو] تغنى الفقرة الأولى من الأغنية على نغمات الفوكس تروت البطيئة وهى ترقص :

إن الصينيين أناس بالخبث مليئون
من شانغهــاى إلى بيكين
فكتبوا فى كل مكان لا تتساهلوا
ومن تشيو تشين تشو لابد أن تحذروا

[بينما تقوم ابنة الزوجة بهذا الرقص والغناء ، يبدو على الممثلين وعلى الأخص الممثل الشاب الدهشة البالغة ، وكأن شيئاً غريباً جذبهم إلى ابنة الزوجة فيتقدمون نحوها ويرفعون أيديهم إليها كأنهم يريدون أن يمسكوا بها . تجرى منهم . وعند ما ينفجر الممثلون مصفقين وينهرها المدير ، تقف فى مكانها فجأة وتبدو سارحة فى عالم بعيد] .

الممثلون والممثلات : [يصفقون ويضحكون] رائع ... رائع ... حسن جداً .

المدير : [متضايقاً] اصمتوا ! . . . أتعتقدون أنكم فى مرقص ؟

[ينتحى بالأب جانباً ويتحدث إليه فى غضب شديد]

اخبرنى بالله عليك هل هى مجنونة ؟

الأب : مجنونة ! إنها أسوأ من ذلك بكثير ! !

ابنة الزوجة : [فى الحال تندفع إلى المدير] أسوأ ! أسوأ ! ...
إنه شيء أسوأ من هذا بكثير « أرجو أن
تسمعنى . دعنا نمثل هذه المأساة فى الحال ،
أرجوك ، وسترى عندئذ أنه فى لحظة معينة
عندما تكون هذه الصغيرة الحبيبة هنا ...
[تأخذ الفتاة الصغيرة بين يديها . تسير بها إلى المدير]
أليست حبيبة هذه الصغيرة ؟
[تقبلها] يا حبيبتى الصغيرة !
[تحملها بين يديها وتقبلها وتعيدها إلى مكانها ، ثم تقول
فى لهجة يبدو فيها تأثرها البالغ] ، نعم ، وعندما
ينتزع الله فجأة هذه الطفلة الصغيرة من
أمها المسكينة ، ويأتى هذا الصغير الأبله
هناك .
[تمسك بالولد الصغير بعنف وتجره إلى الأمام]
بأكثر الأفعال غباء .
[تدفعه إلى الخلف تجاه الأم] كما هو معهود فيه
من البله والحماقة عندئذ تروننى أهرب !
نعم أيها السادة سأهرب ! سأهرب بعيداً !
أوه ! كم أتوق إلى هذه اللحظات ! صدقنى
كم أتوق إلى هذه اللحظات ! لأنى بعد

كل ما كان من علاقات ودية بيني وبينه .
[تغمز بطريقة مريرة تجاه الأب] لا أستطيع
أن أمكث مع هؤلاء الناس أكثر من
ذلك . فقد كنت أرقب قلق أمي على هذا
الأفعوان الغريب هناك [تشير إلى الابن]
انظروا إليه ! انظروا إليه ! لا يهتم بشيء
انظروا إلى جموده ! لأنه هو الابن الشرعي
نعم هو الابن الشرعي . يملأه الاحتقار لي
ويحتقر كذلك .
[تشير إلى الابن]
إنه يحتقر هذه الفتاة العزيزة لأننا أبناء غير
شرعيين — هل تفهم ذلك !؟ لأننا أبناء
غير شرعيين .
[تذهب إلى الأم وتعانقها]
وهو لا يريد أن يعترف أن هذه المرأة
المسكينة هي أمه ... هذه المرأة المسكينة التي
هي أمنا جميعاً ... إنه ينظر إليها على أنها أمنا
نحن الثلاثة غير الشرعيين فقط — هذا اللعين .
[تقول كل هذا الكلام بسرعة وبانفعال . وبعد أن
أن تكون قد ضخمت صوتها في كلمة « غير شرعيين »
تنطق كلمة لعين بصوت خفيض وكأنها تبصق من فمها]

الأم : [للمخرج ، يبدو في صوتها قلق بالغ] أرجوك ،
بحق هذين الطفلين ، أسترحمك الله

[ينتابها الدوار فتتأرجح كأنها ستسقط] أوه، يا إلهى ... فى اضطراب وحيرة .

الأب : [يندفع إليها لمساعدتها، وينضم إليه جمع من الممثلين] كرسى بسرعة ، أرجوكم كرسى لهـذه الأرملة المسكينة .

الممثلون : [يسرعون نحوها] المسألة صحيحة اذن ؟ أغمى عليها حقا .

المدير : احضروا مقعداً بسرعة ... احضروا أحد المقاعد !

[يتقدم أحد الممثلين وبيده مقعد ، ويقف بقية الممثلين حولهم قلقين . تجلس الأم على المقعد ، تحاول أن تمنع الأب من رفع النقاب الذى يغطى وجهها] .

الأب : انظروا إليها ! انظروا إليها .. !

الأم : كلا ... كلا ، يا إلهى . . . لاتفعل ذلك أرجوك !

الأب : دعهم يرونك .

[يرفع النقاب]

الأم : [تنهض وتغطى وجهها بيدها فى يأس] أرجوك يا سيدى ، لا تدع هذا الرجل ينفذ خطته . يجب أن تمنعه من ذلك .. إنه شىء رهيب .

المدير : [وقد أصيب بدهشة بالغة] إنى لا أفهم شيئاً

من ذلك على الإطلاق ... ليس لدى أية فكرة . عم تتحدثون .

[إلى الأب] هل هذه السيدة زوجتك ؟

الأب : [في الحال] نعم يا سيدى .

المخرج : وكيف تكون أرملة وأنت ما زلت حيا ؟

[ينفس الممثلون عن كل ما انتابهم من الاضطراب الذى اعتراهم فى ضحكة قوية]

الأب : [بتأثر ، يتكلم فى غضب بالغ] لا تضحكوا ! لا تضحكوا هكذا رحمة بنا ! إن المأساة كلها تتلخص فى هذه الحقيقة المرّة . كان لديها رجل آخر . رجل آخر كان يجب أن يكون هنا !

الأم : [صائحة] لا ! لا !

ابنة الزوجة : من حسن الحظ أنه مات ، لقد توفى منذ شهرين، كما قلت لك من قبل ... وما زلنا نرتدى ثياب الحداد عليه كما ترى .

الأب : ولكن عدم وجوده هنا لا يرجع إلى وفاته ، لا إنه ليس هنا — أرجو أن تنظروا إليها ، أيها السادة وستفهمون فى الحال ! إن مأساتها ليست هى حب رجلين لا يمكنها أن تشعر نحوهما بشيء إلا الاعتراف ببعض الجميل

ليس لى أنا ولكن له هو — إنها ليست امرأة إنها أم — ومأساتها و . . . (مأساة رهيبة أيها السادة ، مأساة رهيبة !) — إن مأساتها فى الواقع هى هؤلاء الأطفال الأربعة ... أطفال من رجلين كانا لها .

الأم : أتقول كانا لى ؟ ... هل تجرؤ أن تقول إن هذين الرجلين كانا لى حتى يفهم من ذلك أنى أردتهما لنفسى ؟

[للمدير] : إنه هو الذى فعل ذلك ! هو الذى أعطانى الرجل الآخر ، فرضه على فرضاً ! ودفعنى ، دفعنى دفعاً إلى الفرار معه ،

ابنة الزوجة : [فى الحال وبغضب] هذا غير صحيح .

الأم : [بدهشة] غير صحيح ؟

ابنة الزوجة : غير صحيح ! غير صحيح .

الأم : وما أدراك أنت ؟ !

ابنة الزوجة : غير صحيح .

[للمدير] لا تصدقها ! أتعرف لماذا تقول ذلك ؟ بسببه هو [تشير إلى الابن] تقول ذلك . لأنها تعذب نفسها ! تعذب نفسها قلقاً ! لعدم المبالاة التى تلاقيها من ابنها هذا . إنها تريده أن يصدق أنه هو [تشير

إلى الأب] الذى دفعها إلى تركه ؛ وكان عمره سنتين ، إنه هو الذى اضطرها إلى ذلك .

الأم : [تقول بعنف] لقد دفعنى إلى ذلك ، لقد دفعنى إلى ذلك والله يشهد على ما أقول !

[للمدير] اسأله .

[تشير إلى الأب] إذا كان ما أقول حقاً أم لا .

دعه يقص عليك القصة . . . وهى

[تشير إلى ابنتها] لا يمكن أن تعرف شيئاً عن هذا الموضوع .

ابنة الزوجة : أعرف أنك كنت طول حياتك مع أبى فى غاية السعادة ... كنتما تعيشان فى هدوء واطمئنان ... وأنت لا تستطيعين تكذيبى .

الأم : لا ... أنا لا أنكر ذلك ، لا .

ابنة الزوجة : كان هو الحب والحنان نفسه . كان يحبك حباً خالصاً .

[إلى الفتى ، بغضب] أليس هذا صحيحاً ؟ تكلم ؟ لم لا تتكلم أيها الأبله .

الأم : دعيــه وشأنه ! لماذا يا ابنتى تريدين أن أبدو امرأة ناكرة للجميل ؟ إنى لا أريد على الإطلاق أن أقول شيئاً يمس

أباك ! قد أحببته لم يكن ذنبي ، ولم أرض نزواتي حينما تركت منزله وتركت ابني .

الأب : إن ما تقوله صحيح يا سادة : أنا المسئول.

[فترة صمت]

الممثل الأول : [لزملائه] يا له من مشهد !

الممثلة الأولى : هم الذين يؤدون لنا هذه الأدوار !

الممثل الأول : فلنكن متفرجين ولو مرة واحدة فقط !

المدير : [وقد بدأ يهتم بالموضوع] دعونا نستمع إليهم.. دعونا نستمع إلى ما يقولون [وبعد أن يقول ذلك، ينزل من خشبة المسرح إلى الصالة . ويقف أمام المسرح حتى يرى من وجهة نظر المتفرجين تأثير المشهد]

الابن : [دون أن يتحرك من مكانه ، ببرود ، وبهدوء وبلهجة ساخرة] . نعم استمعوا . إلى هذه القطعة الفلسفية الآن ! سيقص عليكم تجاربه الشيطانية .

الأب : [للابن] إنك غبي ساخر ، كما قلت لك مائة مرة من قبل [وإلى المدير الموجود في الصالة] إنه يسخر مني لهذا التعبير الذي اتخذته دفاعا عن نفسي .

الابن : [بامتعاض] إنه كلام !

الأب : كلام ! كلام، كما لو كان الكلام لايسرّي

عنا جميعاً ، عندما تواجهنا حقيقة ،
لا نستطيع تفسيرها أوعندما نواجه شراً
يستهلكنا ، إن كلمة واحدة قد لاتعنى شيئاً،
تعيد الهدوء إلى نفوسنا !..

ابنة الزوجة : وبصفة خاصة فى حالة تأنيب الضمير .

الأب : تأنيب الضمير ؟ لا ، هذا غير صحيح لم تكن الكلمات وحدها ، هى التى أراحت ضميرى .

ابنة الزوجة : لا ، بل استخدم أيضا القليل من النقود !
نعم قليل من النقود !
المائة ليرة التى قدمها كأجر لى أيها السادة !
[حركة من الرعب من جانب الممثلين]

الابن : [باحتقار إلى ابنة الزوجة] هذا انحطاط !

ابنة الزوجة : انحطاط ؟ كانت فى مظروف أزرق باهت صغير ، على المنضدة الخشبية فى الحجرة خلف « حانوت » مدام « باتشى » هل تعلم يا سيدى من هى ؟ إنها إحدى أولئك السيدات اللائى يتظاهرن ببيع الثياب حتى يجتذبننا نحن الفتيات المسكينات من الأسر النظيفة إلى حوانيتهن القذرة .

الابن : وظنت أنها حصلت على حق إرهاب البيت بأجمعه بتلك المائة ليرة التى كان سيدفعها لها . . . ولكن لحسن الحظ . . .

ودعونى أؤكد لكم ذلك . . . لم يكن هناك أى باعثْ لأن يدفع لها شيئاً .

ابنة الزوجة : نعم كان على وشك ذلك لو تعلم [تنفجر ضاحكة]

الأم : [تنهض لتحتج] تحشمى يا بنيّى ! تحشمى !

ابنة الزوجة : [فى الحال] أتحشم ؟ هذا ثأرى ! إنى أحترق رغبة لكى أعيش هذا المشهد ! الحجرة ... وفى ذاك المكان نافذة عرض الأزياء ... وهناك ، الأريكة ، المرآة والحاجز ، وأمام النافذة ذلك النضد من الخشب الثقيل وعليه المظروف الأزرق الباهت وبه المائة ليرة . إنى أراه بوضوح ، ما كان علىّ إلا أن أمد يدى لألتقطه ، ولكنكم سادتى يجب أن تديروا وجوهكم الآن لأنى عارية تقريباً ! ولم أعد أخجل ، إنه هو الذى يجب أن يخجل الآن .

[تشير إلى الأب] ولكن دعونى أؤكد لكم أنه كان شاحباً جداً فى تلك اللحظة .

[إلى المدير] صدقنى ياسيدى .

المدير : ليس لدى فكرة عمّ تتحدثين !

الأب : إذن ! ما دامت المسألة قد وصلت إلى هذا الحد فإنى أرجوك أن تقرّ النظام ودعنى

أتكلم قبل أن تنصت لكل الترهات الرهيبة التى تكيلها هى إلىّ دون أن تدعنى أفسر الأمر .

ابنة الزوجة : ليس هذا محل القصص ! ليس هذا محل القصص !

الأب : ولكنى لا أقص قصصاً ... إنى أريد أن أفسر له الأمر .

ابنة الزوجة : آه حسناً ، تفسره كما تريد أنت !

[وفى هذه اللحظة يصعد المدير إلى خشبة المسرح كى يعيد النظام]

الأب : ولكن ألاترين أن علة البلاء فى الكلام ، كل واحد منا لديه عالم كامل فى نفسه ، وكل واحد منا له عالمه الخاص ! فكيف يفهم بعضنا بعضاً أيها السادة إذا كنت أضع فى كلماتى التى أقولها معـــانى وقيم الأشيـــاء كما أفهمها فى عالمى أنا ، بينما يفترض من يستمع إلىّ ، إن كلماتى لها المعانى والقيم الخاصة بعالمه هو ، نحن نظن أننا سوف نتقابل ،والواقع أننا لن نتقابل أبداً ! انظروا ، كل شفقتى ، كل شفقتى من أجل السيدة [يشير إلى الأم] تنقلب فى ذهنها إلى قسوة ما بعدها قسوة .

الأم : ولكنك طردتنى من المنزل .

الأب : هاكم ، أتستمعون ؟ أنا طردتها من المنزل ! إنها تعتقد فعلا أنى طردتها !

الأم : أنت تعرف كيف تتكلم ، أما أنا فلا أجيد ذلك .. ولكن صدقنى يا سيدى ، إنه بعد أن تزوجنى ... ولا يعلم إلا الله لماذا فعل ذلك ، فقد كنت امرأة فقيرة متواضعة .

الأب : كان هذا هو السبب بالضبط ، تواضعك هو السبب فى أنى أحببتك ، لقد تزوجتك لتواضعك ، اعتقدت حينئذ .

[يتوقف قليلا عندما يراها تبدى معارضة لكلامه ، وعند ما يرى استحالة إفهامها ما يقول ، يبسط ذراعيه فى يأس ، ثم يقول للمدير]

لا ! انظر !؟ تقول لا ! صدقنى إن هذا شيء رهيب حقاً .

[يضع يده على جبهته] ، نعم إنها عطوفة على أبنائها ! ولكنها صماء ! صماء العقل ! صماء أيها السادة ، إلى درجة اليأس .

ابنة الزوجة : نعم ، ولكن دعه يقص الآن ماذا عاد علينا من ذكائه .

الأب : آه ــ لو أمكننا أن نرى الشر ينبعث من الخير الذى نعتقد أننا نفعله دائماً .

[فى هذه الأثناء تراقب الممثلة الأولى الممثل الأول بغضب متزايد ، بينما يأخذ الممثل الأول فى مغازلة ابنة الزوجة ، وعندما لا تستطيع أن تحتمل ذلك تتقدم إلى الأمام وتصيح فى المدير] .

الممثلة الأولى : معذرة ياسيدى المدير . هلا نتابع التجربة .

المدير : طبعاً ، طبعاً ولكنى أتابع هذا الحديث الآن ، دعينى أستمع الآن .

الممثل الشاب : هذا حقاً شيء جديد للغاية .

الممثلة الشابة : شيء ظريف جداً !

الممثلة الأولى : ظريف لأولئك الذين يستمتعون به ! !
[تلقى نظرة على الممثل الأول]

المدير : [إلى الأب] ولكن يجب عليك أن تشرح كل شيء فى وضوح . [يجلس]

الأب : استمع يا سيدى ، كان معى رجل فقير يساعدنى .. سكرتيرى الخاص وكان شديد الإخلاص لى ، ويفهم تماماً كل تصرفاتى [يشير إلى الأم] ، لم يكن هناك أقل شك فى وجود شيء ما ، فقد كان رجلا طيباً متواضعاً ، يشبهها تماماً ، ولم تكن لديهما القدرة حتى على مجرد التفكير فى الإثم ، لا على ارتكابه ! ! !

ابنة الزوجة : هو الذى كان يفكر فيه بدلا منهما — وارتكب هذا الإثم

الأب : غير صحيح ! كنت أعتقد أن ما أفعله سيكون لخيرهم ولخيرى أيضاً . نعم ، إنى أعترف بذلك ! لقد تطوّرت الأمور ، فأصبحت لا أستطيع أن أقول كلمة واحدة لأى منهما دون أن يتبادلا نظرات التفاهم فى الحال ، لا أقول كلمة واحـــدة إلا ويحاول كل منهما أن يرى ما تقوله عين الآخر ... لكى يتبادلا المشورة على أى محمل ينبغى أن يفهما كلامى ، حتّى لا يثور غضبى . ويمكنك أن تدرك الآن أن هذه الطريقة كانت تجعلنى فى غضب دائم وثورة لا تحتمل !

المدير : ولكن أتسمح لى أن أســـألك لِمَ تطرد سكرتيرك هذا ؟

الأب : فى الواقع أن هذا ما فعلت بالضبط . ولكن كان على بعد ذلك أن أرى المرأة المسكينة تتجول بمفردها بين جدران المنزل كمخلوق بائس ضائع ، كإحدى —

الحيوانات الضالة التى تأخذك بها الشفقة فتأويها .

الأم : ولكن !

الأب : [يستدير إليها كأنه يتنبأ بما ستقول] ابنك حقاً؟

الأم : كان أيها السادة قد انتزع ابنى من أحضانى سليما قوياً

الأب : لم يكن ذلك عن قسوة وإنما كى ينشأ مرتبطاً بالأرض .

ابنة الزوجة : [تشير إلى الابن فى استهزاء] شىء واضح .

الأب : وهل هى غلطتى أيضاً أنه نشأ على هذا النحو ؟ عهدت به إلى إحدى المربيات فى الريف ياسادة ، فلاحة ، لأن زوجتى لم تبد لى من القوة إلى حد كاف ، مع أنها من أصل رقيق . وكان ذلك هو نفس السبب الذى تزوجتها من أجله وربما كانت هذه نزوة ، ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟ لطالما اجتاحتنى تلك النزوات الملعونة إلى التعلق بمتانة السلامة الخلقية . !

[هنا تنفجر ابنة الزوجة ضاحكة من جديد بطريقة صاخبة]

أسكتها لم أعد أحتمل ذلك .

المدير : اسكتى ، دعينى أسمع مايقول بحق السماء !

[وعند ما ينهرها المدير تعود فى الحال إلى حالتها السابقة سارحة فى عالم بعيد وعلى شفتيها شبه ابتسامة . ينزل المدير من على خشبة المسرح كى يرى تأثير المشهد] .

الأب : لم أعد أحتمل رؤية نفسى وأنا إلى جانب هذه السيدة .

[يشير إلى الأم] ليس للمضـــايقات التى سببتها لى ، صدقنى ياسيدى وليس بسبب الجنون الحقيقى الذى سببته لى . . ولكن للألم..الألم الممض الذى كنت أعانيه من أجلها.

الأم : ومع ذلك فقد طردتنى !

الأب : كانت قد وهبت هذا الرجل كل شىء ... نعم كل شىء أيها السادة ، ولذلك أردت أن أحررها منى .

الأم : ويتحرر هو أيضا !

الأب : نعم أيها السادة وأنا أيضاً ! إنى أعترف بذلك ! ولقد ترتب على هذا كثير من الضرر ، ولكنى أقدمت على مافعلت بنية حسنة ... ولأجلها أكثر مما هو لأجلى : أقسم بذلك .

[يضم ذراعيه إلى صدره ، ثم يلتفت فى الحال إلى الأم]
هل تركتك أبداً بعيدة عن ناظرى إلى
أن أخذك هذا الرجل بين ليلة وضحاها
دون علمى إلى بلد آخر . . . مدفوعاً
بفكرة عمياء عن اهتمامى الخالص بك ...
وصدقونى أيها السادة لم يكن ثمة سبب
آخر غير ذلك ، وظللت أهتم بهذه العائلة
الجديدة التى نمت وأعطف عليها عطفاً
لا يصدق ، وتستطيع هى أن تشهد بذلك
[يشير إلى ابنة الزوجة]

ابنة الزوجة : وأيضاً أنا كنت فتاة صغيرة جميلة ،
أليس كذلك ؟ تتدلى ضفائرى خلف ظهرى
وقد بدا طرف قميصى من أسفل ثوبى
— جميلة من هذه الناحية — كنت أراه
أمام باب المدرسة عند خروجى ، كان
يحضر ليرى كيف أتفتح ..

الأب : هذه خيانة ، ياللعار .

ابنة الزوجة : كلا ! لماذا !

الأب : يا للعار ، ياللعار .
[يستدير إلى المدير ، بصوت يشرح فيه الموقف]
بعد أن ذهبت

[يشير إلى الأم] بدا لى المنزل خاويا . وليس به أحد ، لقد كانت عبئاً على كاهلى ، ولكنها كانت تملأ على البيت ! وعندما وجدت نفسى. وحيداً أخـــذت أتجول بين أركان المنزل كذبابة طاش صوابها . وهذا
[يشير إلى الابن] الذى نشأ بعيداً عنى ، بمجرد أن عاد إلى المنزل ــ لست أدرى ــ لم أشعر كأنه يمتّ إلى بصلة . ولم تكن هناك أم تربط بينى وبينه فشب مهتماً بنفسه منعزلا .. ثم بلا علاقة عاطفية ولا ثقافية تربط بينى وبينه ثم ــ وربما يبدو ما سأقوله غريباً يا سيدى ولكنه الواقع ، أخذت أهتم ثم انجذبت رويداً رويداً إلى تلك العائلة الصغيرة التى نشأت نتيجة لفعلى ، بدأ التفكير فيها يملأ الفراغ الذى طفقت أشعر به حولى . أحسست بنزعة حادة ... برغبة جامحة حقاً . . . ! أريدها أن تعيش فى سلام تمارس الحياة البسيطة العادية ــ كنت أريد أن أطل عليها فأراها سعيدة الحظ ؛ لأنها أصبحت بعيدة عن العذاب

الأليم الذى كانت تعانيه نفسى : ولكى أقدم دليلا على ذلك كنت أذهب لأرقب تلك الفتاة الصغيرة أثناء خروجها من المدرسة .

ابنة الزوجة : صحيح ! لقـــد كان يتبعنى فى الطريق ويبتسم لى ، وعندما أصل إلى البيت يحيينى مودعاً — هكذا ! وكنت أحملق فيه باهتمام متعجبة من عساه يكون . ! وحدثت أمى عنه فأدركت على الفور من هو [الأم تهز رأسها علامة الإيجاب] لقد أرادت فى أول الأمر أن تمنعنى من الذهاب إلى المدرسة ، وحالت بالفعل دون ذهابى إليها عدة أيام ، ولكن عندما عدت رأيته يقف بجوار الباب مرة أخرى — وكان منظره يبعث على الضحك ، وهو يحمل بين يديه لفافة كبيرة من الورق . وتقدم إلى وربت على ، ثم أخرج من تلك اللفافة قبعة جميلة من القش من فلورنسا عليها أزهار شهر مايو ، وأعطاها لى .

المدير : هذا الكلام خارج عن الموضوع أيهـــا الأفاضل !

الابن : [فى احتقار] نعم ... بلاغة ! بلاغة !

الأب : أى بلاغة ! هذه هى الحياة ! عاطفة تتأجج ! .

المدير : ربما ! ولكنك لا يمكن أن تمثل هذا النوع على المسرح .

الأب : أوافقك تماماً . ولكن كل ذلك ليس إلا حوادث سابقة . ولا أقول إن هذا الجزء يجب أن يمثل ... والواقع كما ترى أنها . [يشير إلى ابنة الزوجة] لم تعد الطفلة الصغيرة ذات الضفائر المدلاة وراء ظهرها ...

ابنة الزوجة : وأطراف قميصها الداخلى تبدو من تحت ثوبها !

الأب : وهنا تبدأ المأساة بطريقة جديدة معقدة أيها السادة .

ابنة الزوجة : [تتقدم إلى الأمام قليلا ، فى صوت كئيب فيه قسوة واعتزاز] بمجرد أن توفى والدى . . .

الأب : [فى الحال كى لا يعطيها فرصة للكلام] البؤس يا سيدى ! يعودون هنا دون علمى — ولغبائها . [يشير إلى الأم] إن هذه السيدة تكاد لا تعرف الكتابة ، ولكن كان فى مقدورها أن تجعل ابنها يكتب إلى أو ابنتها — يقولون

إنهم فى حاجة .

الأم : أخبرنى الآن يا سيدى ، كيف كان لى أن أتنبأ أن هذا كان شعوره نحونا .

الأب : وهنا بالضبط كنت دائماً تقعين فى الخطأ... عندما كنت تعجزين عن إدراك شعورى إزاء أى شىء .

الأم : بعد أن أمضيت هذه السنين الطويلة بعيدة عنه وبعد كل ما حدث ...

الأب : وهل هذه جريرتى ، أن أخذك هذا الرجل كما فعل ؟

[إلى المدير] أقول لك ما حدث من يوم إلى يوم ، كنت قد سافرت لأمر لا أذكره ، فلم يكن فى مقدورى حين عدت أن أتتبع أثرهم ، ومن ثم قل اهتمامى بالضرورة بهم على مر السنين ، ووقعت المأساة يا سيدى غير متوقعة عنيفة بعد عودتهم ، وكنت حينئذ قد اضطررت رضوخاً لمطالب جسدى التعس الذى مازال حينئذ يحترق بنزواته ... آه يا للبؤس ... يا لتعاســة الرجل الذى يحيا وحيداً ، ولا يريد أن تكون له علاقات شائنة ولم يبلغ من الكبر سناً تمكنه من

العيش بلا امرأة ولا من الشباب سنا تتيح
له أن يذهب في البحث عنها في سهولة
ودون خجل ، أليست هـــذه تعاسة ؟
ماذا أقول فما من سيدة في استطاعتها أن
تمنحه الحب — وعندما يدرك ذلك يجب
عليه أن يستغنى عن هذا الحب ، ولكن
يا سيدى كل منا أمام الآخرين يتشح
بالعزة ، ولكنه يدرك أن هناك فى أعماق
نفسه أشياء لا يمكنه أن يجهر بها . . .
أشياء يحيطها قلبه بسياج مرير من الكتمان .
إننا نستسلم ... نستسلم للإغراء ، ولكى
ننهض من جديد [وحبذا لو كان ذلك سريعاً]
تملؤنا رغبة عظيمة فى أن نعيد إلى نفوسنا
تماسكها وتكاملها — وكأن كرامتنا شاهد
القبر الذى يخفى ويدفن عن أعيننا كل
إشارة وكل ذكرى لها صلة بعـــارنا .
وهـــذا حالنا جميعاً . ولا تنقصنـــا
إلا الشجاعة لكى نقول أشياء معينة .

ابنة الزوجة : ولكن الشجاعة فى أن يقدموا عليه لا تنقص أحدا منهم .

الأب : نعم ، كلهم ، ولكن فى الخفاء ! ولهذا

يحتاج الأمر إلى مزيد من الشجاعة — لكى يُقال . وما يكاد المرء يذكر هذه الأشياء حتى يدمغونه بالتردى فى الشهوات — مع أن ذلك ليس حقيقياً يا سيدى لأنه كأى فرد منهم بل الواقع ، أنه أفضل منهم لأن فطنته أتاحت له ألا يخفى حمرة الخجل وألا يخشاها ، الخجل الذى تتسم به الوحشية الإنسانية ... هذا العار الذى يغمض الإنسان عينيه حتى لا يراه . والمرأة ، أى نعم ، المرأة ، ما هو موقفها ؟ إنها تنظر إليك بإغراء فتضمها بين ذراعيك ، وما تلبث أن يلتصق جسدها بجسدك حتى تغمض عينيها ... هذا عنوان رسالتها — تقول للرجل « اغمض عينيك فإنى أغمضتهما فلا أرى »

ابنة الزوجة : وعنـــدما لا تغمض المرأة عينيها ؟ وعندما لا تشعر بالحاجة لأن تخفى خجلها عن نفسها أو أن تغمض عينيها ، وعندما تنظر بدلا من ذلك بعيون جامدة لا عاطفة فيها لترى عار الرجل الذى أعمى نفسه دون حب ؟ آه للغباوة ، غباوة ليس بعدها غباوة تتسم بها تلك التعقيدات الذهنية ، تلك الفلسفة

التى تكشف عن الحيوان الأعجم الذى يكمن فى الرجل ، ثم تحاول بعد ذلك أن تنقــذه وتتلمس له الأعذار . . . إنى لا أستطيع أن أقف هنا وأستمع إليه أيها السادة لأن الرجل عندما يضطر إلى تبسيط الحياة بطريقة وحشية ، وعندما يلقى عن كاهله بكل معانى الإنسانية ، وبكل رغبة طاهرة وكل شعور نبيل . . . كل شعور بالعطف والواجب والتواضع والخجل ... عندئذ لا يوجد شىء أوجب للامتهان والاحتقار أكثر من هذا الندم المصطنع ... يا لدموع التماسيح !

المدير : والآن ، لنعد إلى الموضوع ، لنعد إلى الموضوع يا حضرات الأفاضل ، لقد أكثرتم من هذه المناقشات .

الأب : حسناً جداً يا سيدى ! ولكن الحقيقة كالغرارة ، عند ما تكون خاوية لا يمكن أن تقف ، ويجب إذا أردتها أن تقف أن تصب فيها الأسباب والمشاعر التى تسببت فى وجودها ، ولم يكن المفروض علىّ أن أعرف تلقائياً أنه عندما مات ذلك الرجل

وعادوا إلى هنا فى حالة يرثى لها ! لم يكن من المفروض عليّ أن أعرف أنهـا . [يشير إلى الأم] ستخرج وتعمل حائكة للثياب لكى تعول أطفالها ... و ... وعند من ؟ مدام باتشى !

ابنة الزوجة : وهى خياطة راقية ! لو تعلمون أيها السادة ! إنها تتعامل فى الظاهر مع أرقى السيدات ولكنها تدبر أمورها بحيث تصبح هذه الطبقة الراقية من النساء ستاراً لها ، تحجب الشك عن الآخريات .

الأم : صدقونى أيها السادة إذا قلت : إنه لم يخطر ببالى لحظة واحدة أن هـذه العجوز استخدمتنى بعد أن رأت ابنتى .

ابنة الزوجة : يا للأم المسكينة ! أتعرف ماذا كانت تفعل هذه المرأة عندما كنت أعود إليها بالثوب الذى حاكته أمى ؟ كانت تقول لى : إن النسيج قد تلف نتيجة لحياكة أمى ، ثم تزمجر على هذا وعلى ذاك ، وبذلك تدركون أنه كان يجب علىّ أن أدفع الثمن ؛ ثمن الثوب الذى تلف ، وهذه المرأة المسكينة كانت تعتقد طوال الوقت أنها تضحى بكل

شيء فى سبيلى وفى سبيل هذين الطفلين — عندما كانت تسهر طوال الليل تعمل لمدام باتشى .

[حركات وهمسات من جانب الممثلين تدل على الاستياء]

المدير : [فى الحال] وهناك فى يوم ما حدث أن قابلت —

ابنة الزوجة : [تشير إلى الأب] قابلته ، قابلته هو ياسيدى عميل قديم ! والآن أترى أى مشهد ستقدمه ! مشهد رائع !

الأب : فى لحظة حضورها فجأة ... حضور الأم —

ابنة الزوجة : [فى الحال ، بلهجة مملوءة بالشر] تقريباً فى الوقت المناسب .

الأب : [صائحاً] فى الوقت المناسب ، فى الوقت المناسب ، لأنى لحسن الحظ قد تعرفت عليها شخصياً فى الوقت المناسب ! وعندئذ عدت بهم جميعاً أيها السادة إلى المنزل . والآن يمكنك أن تتصور موقفها وموقفى ، كل منا فى مواجهة الآخر ، فلم يعد فى استطاعتى بعد أن أرفع عينى فى وجهها .

ابنة الزوجة : إن هذا شيء غاية فى البلاهة . وهل من المستطاع أيها السادة أن تنتظروا منى « بعد ذلك » أن أكون فتاة متواضعة حسنة

التربية شريفة ، تتفق مع أمانيه التعسة ، فى سلامة خلقية متينة « إن مأساتى ياسادة تتلخص فى هذا الشىء بالذات . . . . إن مأساتى فى الإحساس بأنى ، وبأن كلاً منا يرى ويعتقد أنه واحد فقط ، ولكن هذا ليس صحيحا . إن كل واحد منا له شخصيات متعددة ، نعم « شخصيات متعددة » بعدد الإمكانيات التى تكمن فينا : فبالنسبة للبعض يكون كل منا شخصاً واحداً ، وبالنسبة للآخرين يكون شخصاً آخر يختلف عن ذلك تماما ؟ ونحن دائماً نتوهم أننا شخص واحد بالنسبة للجميع ... وهذا الشخص دائماً لا يتغير . . . إننا نعتقد أن هذا الشخص يظل كما هو عندما يفعل أى شىء ، ولكن هذا ليس صحيحا على الإطلاق ! ومن الممكن أن نرى ذلك فى غاية الوضوح ، عندما نتلبس لسوء الحظ بجريرة أدت بنا إليها ظروف سيئة ، فنجد أنفسنا كأننا لم نكن هناك بكليتنا عندما فعلنا ذلك . وأنه من الظلم والقسوة أن يصدر علينا الحكم على مافعلناه فى هذه اللحظة

فقط . . . أن نبقى معلقين هكذا طوال العمر . . . كأن حياتنا قد تلخصت فى هذا الخطأ وحده . والآن هل تفهمون غدر هذه الفتاة ؟ لقد فاجأتنى فى مكان كان لا يجب أن أوجد فيه ... وفاجأتنى أفعل شيئا كان من الواجب ألا أفعله معها على الإطلاق . لقد كشفت فى شخصيتى جانبا كان لا يجب أن يوجد بالنسبة لها . وهى الآن تحاول أن تربطنى بحقيقة لم أتوقع يوما ما ، أن تكون لها صلة بها . . . تلك الحقيقة التى تكمن فى لحظة خاطفة مخزية من لحظات حياتى ! وهذا أيها السادة ما أشعر به أكثر مما عداه — وكما ترى أن المأساة تعتبر ذات قيمة عظمى من هذه الناحية — والآن إليك موقف الآخرين [يشير إلى الابنة] .

الابن : [يهز كتفيه باحتقار] دعنى فليس لى شأن بذلك .

الأب : ماذا ! تعنى أن ليس لك شأن بذلك ؟

الابن : ليس لى شأن ولا أريد أن يكون لى به شأن ، لأنك تعلم جيداً أنى لم أوجد لأظهر معكم .

ابنة الزوجة : نحن غوغاء، نحن. أما هو فمن طبقة أخرى، ولكن ربما لاحظت أنى أرمقه بنظرة احتقار مهينة من آن لآخر فيخفض عينيه ولا يجرؤ على النظر إلىّ ، لأنه يعلم جيدا مدى الأذى الذى ألحقه بى.

الابن : [وهو لا يكاد ينظر إليها] أنا ؟

ابنة الزوجة : نعم أنت... أنت ... إنى أدين لك بهذا التجول فى الطرقات ... لك أنت ، هل تجاهلتنا أم لم تتجاهلنا ، بالطريقة التى كنت تتصرف بها ؟ ولن أقول مودتك فى منزلك إنك تجاهلت حتى مجرد حسن الضيافة التى تشعر الضيوف بالراحة . لقد كنا غزاة أتوا ليزعجوا مملكتك «الشرعية» يا سيدى ، كنت أريدك أن تشهد بعينيك بعض المواقف الصغيرة بينى وبينه ، إنه يقول : إنى كنت أسيطر على الجميع « ياله من ادعاء » إن الطريقة التى تصرف بها معى هى التى ألجأتنى لذلك ، فحـــاولت أن أستفيد مما يطلق عليه هو سفالة ، ورحت أستغل سبب التجائى إلى منزله أنا وأمى التى هى أمه أيضاً، فكيف أفرض سيطرتى ؟

الابن : [يتقدم ببطء إلى الأمام] إنهم جميعاً يتقنون أدوارهم ... فدورهم سهل . كلهم ضدى ولكن تصور موقف ابن يحدث له فى ذات يوم بينما يجلس هادئاً فى بيته تدخل عليه فتاة جريئة ، وفى نظرة شامخة تسأل عن أبيه ، فلم يعرف بم يجيبها ، وبعد ذلك يراها تعود بالجرأة نفسها وتصحب معها تلك الفتاة الصغيرة ، ثم تعامل الأب بطريقة خاصة وغامضة فيها جرأة (من يدرى لِمَ) وتطلب منه نقوداً بلهجة تجعلك تتأكد فى الحال أن لا بد وأن يعطيها ما تريد لأنه ملزم بأن يفعل ذلك .

الأب : لقد كنت ملزماً بأن أفعل ذلك كان هذا ديناً علىَّ لأمك .

الابن : كيف لى أن أعرف ؟ وهـــل كنت قد رأيتها من قبل يا سيدى ؟ ومتى كنت قد سمعت عنها ؟ ثم رأيتها فى أحد الأيام مع ابنتها هذه .

[يشير إلى ابنة الزوجة] ومعها . هذا الصبى والطفلة الصغيران . ويقولون لى : « هذه هى أمك أيضاً هل تعرف ذلك ؟... ثم بدأت أفهم رويدا رويداً ، وذلك للطريقة

التي كانت تتصرف بها [يشير من جديد إلى ابنة الزوجة] لأى سبب جاءوا ليحتلوا المنزل هكذا فجأة دون سابق إنذار . . أما ماشاهدته وما شعرت به فلا يمكنني ولا أرغب في أن أفصح عنه . ولم أكن حتى أريد أن أحدث نفسي به ، بل لم أكن أقدر على ذلك . ولهذا لاتأملوا أن أقوم بأى شيء في هذا الموضوع ، صدقني ، صدقني ياسيدى ، إني شخصية غير مكتملة في هذه المأساة ، وأشعر بضيق شديد في صحبتهم ، ولهذا اتركني وشأني .

الأب : كيف ؟ معذرة .. إنه نتيجة لطباعك هذه ..

الإبن : [بغضب شديد] ماذا تعرف عن طباعي ؟ ماذا تعرف عني ! منذ متى بدأت تهتم بي ؟

الأب : موافق .. موافق ، ولكن أليس هذا موقفاً غريباً منك ؟ ابتعادك هذا أليس موقفاً غريباً منك وقسوة بالنسبة لي ولأمك ؟ أمك التي عادت إلى بيتها لتراك للمرة الأولى وكنت قد كبرت حتى إنها لم تعرف أنك ابنها . .

[يشير إلى الأم ويوجه كلامه إلى المدير]

انظر إليها سيدى المدير ، إنها تبكى .

ابنة الزوجة : [بغضب] إنها حمقاء .

الأب : إنها لا تطيقه .

[يشير إلى ابنة الزوجة ويعود إلى الحديث عن الابن]

يقول لاعلاقة له بكل ذلك ، بينما هو فى الواقع محور الحركة . . انظر إلى هذا الولد الصغير ، كيف يتعلق بأمه طوال الوقت خائفاً جزعاً .. وهو السبب فى ذلك ، ربما كان موقفه هو أكثر المواقف إيلاماً ، أكثر إيلاماً من أى واحد منهم لأنه يشعر بأنه غريب عن أهل البيت أكثر من الآخرين ، ولذلك فإن الطفل المسكين يشعر بامتهان لالتجائه إلى منزل من باب الشفقة . .

[بثقة] إنه يشبه أباه تماماً ، متواضع ، صامت لا يتفوه بكلمة . .

المدير : لا أعتقد أن فكرة اشتراك الطفل فى المسرحية ستكون فكرة ناجحة ، فأنت تعرف مدى الإزعاج الذى يسببه الأطفال على المسرح .

الأب : ولكنه لن يبقى على المسرح طويلا .. فهو فى الواقع يختفى فى الحال . . .. والفتـــاة

الصغيرة كذلك ؛ لا فى الحقيقة هى التى تختفى أولا .

المدير : هذا عظيم جداً . أؤكد لك أن كل هذا يعجبنى جداً جداً — إنى ألمح بوادر مسرحية رائعة .

ابنة الزوجة : [تحاول أن تتدخل] وخاصة بشخصية مثلى ..

الأب : [يدفعها جانباً فى غضب محاولا أن يستمع إلى قرار المدير] اسكتى .. أنت .

المدير : [مستمراً متغاضياً عن هذه المقاطعة] جديدة .. نعم . . جديدة .

الأب : جديدة للغاية يا سيدى . .

المدير : ومع ذلك فإن المسألة تحتاج إلى شجاعة كبيرة لكى تأتى إلى هنا وتعرض فكرتك بهذه الطريقة . .

الأب : لقد أدركت يا سيدى أننا ولدنا هكذا للمسرح . .

المدير : هل أنتم ممثلون هواة ؟

الأب : كلا .. لقد قلت أننا ولدنا للمسرح لأننا ..

المدير : أوه ... مهلا ، لا شك فى أن لك خبرة طويلة فى هذا المضمار .

الأب : لا ياسيدى . إنى أمثل كما يجب أن يمثل أى إنسان دوره الذى يجب أن يمثله أو

بمعنى آخر الدور الذى فرضه عليه الآخرون فى هذه الحياة ، ثم ترى فىّ العاطفة التى تتحول من تلقاء نفسها كما هو حال الجميع إلى شيء مسرحى بمجرد اندفاعها .

المدير : أوه .. وهو كذلك . ولكنك تعرف ياعزيزى أنه بدون مؤلف .. إنى أستطيع أن أدلك على من يمكنه ...

الأب : كلا ... أرجوك .. ليكن هذا الشخص هو أنت ...

المدير : ماذا تقول ؟ أنا؟

الأب : نعم ، أنت .. أنت .. ولم لا ؟

المدير : لأنى لم أعمل كمؤلف فى حياتى على الإطلاق

الأب : لم لاتجرب الآن ، فلا ينقصك شيء ، كثيرون يفعلون ذلك .. إن مهمتك سهلة للغاية لأننا كلنا موجودون أحياء أمامك .

المدير : هذا لا يكفى . .

الأب : وكيف لا يكفى ؟ وأنت ترانا جميعاً نعيش مأساتنا ..

المدير : صحيح .. وبالرغم من ذلك ؛ فما زلنا فى حاجة إلى من يكتب المسرحية ..

الأب : لا ، كلف أحدهم بتسجيلها ، بينما نقوم

نحن بتمثيلها بالفعل مشهداً مشهدا ويكفى أن تكتب لها مسودة .

المدير : [يعتلى خشبة المسرح بعد أن أغراه الحديث] آه لقد نجحت تقريبا فى إغرائى ، فعلى سبيل اللعب قد تتحقق التجربة .

الأب : هو ذلك ياسيدى . . وسترى عندئذ أن المشاهد ستظهر ، وأستطيع أن أدلك عليها أنا

المدير : إنك تغرينى .. إنك تغرينى ، دعنا نتدبر الأمر .. تعال معى إلى مكتبي ...

[يستدير إلى الممثلين] يمكنكم أن تستريحوا الآن ولكن لاتغادروا المسرح فإنى أريدكم هنـا جميعاً بعد ربع ساعة أو عشرين دقيقة .

[إلى الأب] هيا بنا نحاول فربما أمكن أن نخرج من ذلك شيئا طريفا .

الأب : دون شك .. ألا تعتقد أنه من الأفضل أن تجعلهم يأتون هم أيضاً معنا ؟

[يشير إلى الشخصيات]

المدير : نعم ليأتوا .. ليأتوا ..

[يهم بمغادرة المسرح ثم يستدير فجأة إلى الممثلين]

أوصيكم بأن تحافظوا على الموعد بعد ربع ساعة تماما ..

[يعبر المدير خشبة المسرح ومعه الشخصيات الست ويختفون – الممثلون يظلون فى أماكنهم ينظر كل منهم إلى الآخر وكأنهم فى دهشة . .]

المثل الأول : هل هو جاد فى قوله ؟ ... ماذا يريد أن يفعل ؟

الممثل الشاب : هذا جنون .. جنون أكيد ..

ممثل ثالث : هل يعتقد أن فى الإمكان أن نمثل مسرحية هكذا ونحن على قدمينا ..

الممثل الأول : نعم كالممثلين فى الكوميديات ، زمن أرباب الحرف والفنون [ضجة]

الممثلة الأولى : إذا كان يعتقد أنى سأشترك فى مثل هذا الهزل وهذه السخافات .. فهو ...

ممثل آخر : ولن أبقى أنا أيضاً .

ممثل رابع : أريد أن أعرف من هم هؤلاء [يشير بكلامه إلى الشخصيات]

الممثل الثالث : من تعتقد ؟ مجانين أو أفاقين .

الممثل الشاب : ومع ذلك فإنه يوليهم عناية كبيرة ؟

الممثلة الشابة : غرور ركبه لأن يصبح مؤلفاً مسرحياً ..

الممثل الأول : هذا شيء لم أسمع به من قبل .. إذا وصل الحال بالمسرح يا حضرات السادة إلى هذه الدرجة ..

ممثل خامس : فى الواقع إنى أستمتع بما يحدث الآن . .

ممثل ثالث : هه ! سوف ترى مايتمخض عنه كل ذلك

[ويستمر الحوار بين الممثلين على هذا النحو بينما يخلون المسرح : بعضهم عن طريق الباب الخلفي، والبعض الآخر يخرج من ناحية حجرة الملابس . الستار يظل مرتفعاً كما هو] .

[يتوقف التمثيل لمدة عشرين دقيقة]

[تعلن أجراس المسرح عودة التمثيل، ويعود الممثلون إلى خشبة المسرح ومدير المناظر وعمال المسرح والملقن وعامل الملابس . . بعضهم من حجرات الملابس ، والبعض الآخر من الباب الخلفي، والبعض من الصالة نفسها . . وفى الوقت نفسه يدخل المدير تتبعه الشخصيات الست . وتطفأ أنوار الصالة وتعود إلى خشبة المسرح الأضواء نفسها التى كانت موجودة من قبل .]

المدير : والآن هيا بنا أيها السادة .. هل الجميع حاضرون ؟ انتبهوا إلىّ . . انتبهوا سنبدأ

[ينادى الميكانيكى] .

الميكانيكى : هأنذا .

المدير : أعد حجرة الجلوس فى الحال ، ويكفى جانبان من الحجرة وباب فى مؤخرتها . حالا . . أرجوك . .

[يهرع الميكانيكى فى الحال لينفذ الأوامر . وبينما يتفاهم المدير مع مدير المناظر وعامل الملابس والملقن ، ومع الممثلين على التمثيلية الأصلية ، يعد منظر الحجرة التى

أشار بها : جانبا الحجرة والضلع الثالث به باب لونه أحمر وبه خطوط ذهبية . .]

المدير : [لعامل الملابس] ألدينا أريكة فى المخزن . .

عامل الملابس : نعم يا سيدى لدينا تلك الأريكة الخضراء . .

ابنة الزوجة : كلا . . كلا أخضر ! ! كانت صفراء مشجرة لها وبرة كبيرة جداً . . ومريحة للغاية .

عامل الملابس : ليس لدينا شىء من هذا النوع .

المدير : لا يهم . . هات ما عندك .

ابنة الزوجة : كيف لا يهم ؟ أريكة مدام باتشى الشهيرة . .

المدير : إننا نريد الأريكة الآن للتجربة فقط ، أرجوك ألا تتدخلى فى شئونى .

[إلى مدير المناظر] حاول أن تجد نافذة للعرض طويلة نوعاً ومنخفضة . .

ابنة الزوجة : ومنضدة صغيرة . . منضدة من خشب الزان للمظروف الأزرق .

مدير المناظر : [للمدير] توجد المنضدة الصغيرة المذهبة . .

المدير : لا بأس . . أحضرها .

الأب : وتسريحة « منضدة للزينة » .

ابنة الزوجة : والحاجز أرجو ألا تنسوا الحاجز (البارافان) وإلا فماذا أفعل ؟

مدير المناظر : اطمئنى يا آنسة فلدينا أكوام منها .

المدير : [لابنة الزوجة] وبعض المشاجب للملابس . . أليس كذلك ؟

ابنة الزوجة : نعم .. نعم مشاجب كثيرة .. مشاجب كثيرة.

المدير : [لمدير المناظر] انظر كم لدينا منها وأحضرها.

مدير المناظر : وهو كذلك . . سأذهب بنفسى ..

[يهرول مدير المناظر هو أيضاً لإنجاز مايريد المدير . وفى الوقت نفسه يتابع المدير حديثه مع الملقن ومع الشخصيات ومع الممثلين . . يأمر عمال المسرح بإحضار الأثاث المطلوب، ثم يستمر فى ترتيبه بالطريقة الأنسب] .

المدير : [الملقن] والآن خذ مكانك .. هذه مسودات المسرحية..فصلا بفصل [يعطيه بعض الأوراق] « فلتتعب معنا » .

الملقن : أأكتبها بالاختزال ؟

المدير : [مندهشاً باغتباط] أوه حسنا . . أتكتب بالاختزال ؟

الملقن : قد لا أجيد التلقين الآن، أما الاختزال فأجيده

المدير : هذا أفضل بكثير . .

[إلى أحد عمال المسرح] اذهب إلى غرفتى ، وأحضر كمية كبيرة من الأوراق ، كل ما تجده منها .

[يهرول عامل المسرح ثم يعود بعد قليل حاملا كمية كبيرة من الأوراق ويقدمها للملقن] .

المدير : [متابعاً الحديث للملقن] تتبع المسرحية بدقة أثناء تمثيلها خطوة خطوة ، وحاول أن تحدد الوقفات أو على الأقل أهمها .
[ثم يلتفت إلى الممثلين] أخلوا المسرح من فضلكم . نعم قفوا فى هذا الجانب .
[يشير إلى الجهة اليسرى من المسرح]
والآن انتبهوا جيداً .

الممثلة الأولى : معذرة . . . نحن

المدير : [مدركاً ما ستقوله] اطمئنى .. فلن تضطرى إلى الارتجال .

الممثل الأول : ماذا نفعل إذن ؟

المدير : لا شىء .. راقبوا ما يحدث وسوف يحصل كل منكم بعد ذلك على دوره مكتوباً، والآن نقوم بإجراء التجربة ويقومون هم بهـا .
[يشير إلى الشخصيات الست] .

الأب : [وكأنه سقط من السماء وسط المرج على المسرح]
نحن . . ولكن كيف تقول إنها مجرد تجربة ؟

المدير : إنها تجربة .. تجربة لهم [يشير إلى الممثلين] .

الأب : ولكن إذا كنا نحن الشخصيات . .

المدير : حسنا .. «الشخصيات» ولكن هنا ياسيدى الفاضل ، ليست الشخصيات هى التى تمثل

بل هم الممثلون الذين يؤدون الأدوار ، أما الشخصيات فتبقى هناك فى سطور المسرحية [يشير إلى الملقن] هذا بعد الحصول على نسخة مكتوبة ...

الأب : ومادام ، ليست هناك نسخة للمسرحية ، ولديك لحسن الحظ الشخصيات بدمها ولحمها .

المدير : أوه . . حسناً هل تريد أن تفعل كل شىء بنفسك ؟ تمثل وتخرج وتظهر أمام الجمهور ؟

الأب : نظهر كما نحن .

المدير : أوه .. أؤكد لك أنك ستقوم بدور رائع .

الممثل الأول : وما فائدتنا إذن نحن الممثلين ؟

المدير : لا أظنهم يعرفون التمثيل .. إنهم يضحكون .

[يضحك الممثلون]

انظر ، ها هم يضحكون . .

ثم يتذكر : ولكن لنعد إلى الموضوع . . يجب توزيع الأدوار والمسألة سهلة لأن الأدوار موزعة من نفسها .

[للمثلة الثانية] : أنت ياسيدتى لك دور الأم ..

[موجهاً كلامه للأب] : وعليك أنت أن تجد لها اسما . .

الأب : آماليا يا سيدى . . .

المدير : ولكن هذا اسم زوجتك .. هل نطلق عليها اسمها الحقيقي . .

الأب : ولم لا ؟ إذا كان هذا هو اسمها فعلا . . ولكن إذا كانت ممثلة الفرقة هذه هى التى ستقوم بتمثيل الدور .

[يشير بيده إلى الممثلة الثانية] إنى أرى أن هذه [يشير إلى الأم] فى دور آماليا يا سيدى . .. ولكن أفعل ما تشاء .

[يزداد ارتباكه] لا أعرف ماذا أقول لك . . إنى بدأت فعلا . .

لا أعرف كيف أعبر عن ذلك . . إنى بدأت أسمع كلماتى تبدو زائفة . . كان لها صدى آخر . . .

المدير : لا تبال . . لا تبال بكل ذلك . . اطمئن لكل شيء ، سنرى كيف نحصل على ما هو مناسب ! أما الاسم فإذا أردت أن يكون اسمها آماليا فليكن آماليا أو نبحث عن اسم آخر . . ولكن الآن فقط سنميز الشخصيات على هذا النحو .

[إلى الممثل الشاب] أنت الابن

[إلى الممثلة الأولى] وأنت طبعاً ستقومين

بدور ابنة الزوجة .

ابنة الزوجة : [منفعلة] ماذا . . ماذا ؟ أنا أكون هذه ؟
[تنفجر ضاحكة]

المدير : [متضايقاً] ماذا يضحكك ؟

الممثلة الأولى : [مستاءة] لم يجرؤ أحد على أن يضحك مني . . حتى الآن ، إما أن أعامل باحترام أو أغادر هذا المكان . .

ابنة الزوجة : [معتذرة] إنى لا أضحك منك .

المدير : [لابنة الزوجة] يجب أن تشعرى بالفخر لأنها ستقوم بدورك .

الممثلة الأولى : [فى الحال وباحتقار شديد] هذه . .

ابنة الزوجة : لم أقصدها صدقنى . . كنت أقصد نفسى حيث لا أرانى فى الواقع ممثلة فيها . . هذا ما كنت أقصد . . لست أدرى فهى لا تشبهنى فى أى شىء . .

الأب : هذا صحيح ، إن كل ما نعبر عنه ...

المدير : ماذا تقصد كلّ ما تعبرون عنه . أتعتقد أن فيكم أى تعبير . . لا شىء فى الواقع .

الأب : كيف؟ ألاتكمن فينا الأشياء التى نعبر عنها ؟

المدير : لا شىء فى الواقع والأشياء التى نعبر عنها تصبح مادة للممثلين الذين يضفون عليها

الجسد والشكل والصوت والحركة . .
واسمح لى أن أقول لك : إن الممثلين هنا سبق أن مثلوا وعبروا عن مادة أغزر من مادتك . . إن مادتك فى غاية التفاهة . . صدقنى وإذا نجحت على المسرح فإن الفضل كله سيكون للممثلين .

الأب : إنى لا أجرؤ على معارضتك .. ولكن أرجوك أن تصدقنى عندما أقول لك إننا نحن الذين نمتلك هذه الأجسام .. وهذه الملامح . نحن كما ترانا الآن ، نقاسى ببشاعة .

المدير : [مقاطعاً بعد أن نفد صبره] ولكننا سنعالجها بالحيلة يا سيدى العزيز ، هذا فيما يتعلق بالملامح . . .

الأب : ربما ، ولكن ماذا عن الأصوات . . والحركات . .

المدير : والآن استمع إلى . . أنت كما أنت هكذا ليس لك وجود ، هنا ممثل يقوم بتمثيلك .. وكفى ! . .

الأب : لقد فهمت يا سيدى . . لقد أدركت الآن لماذا لم يشأ مؤلفنا أن ينقلنا إلى المسرح . . لأنه رآنا كما نحن هكذا . . أحياء . . نظر

إلينا ككائنات حية . إنى لا أريد أن أسيء
إلى ممثليك . . الله يعلم أنى لا أريد ذلك . .
ولكنى أعتقد أنى عند ما أجد نفسى أمثل
الآن . لا أدرى بمن . . .

الممثل الأول : [ينهض مع بعض الآخرين ويتوجهون إليه يتبعهم المثلات الشابات ضاحكات] أنا الذى سأمثلك إذا لم يكن لديك اعتراض على ذلك .

الأب : [بتواضع وخضوع] هذا يشرفنى يا سيدى [ينحنى] ولكن . . أظن أن السيد مهما يضع إرادته وفنه لكى يتقمصنى . .
[يعتريه الاضطراب]

الممثل الأول : استمر . . استمر [ضحكات من الممثلات]

الأب : أريد أن أقول إن النور الذى سيؤديه. الممثل حتى إذا أعد نفسه لكى يصبح ممثلى إلى أقصى حد ممكن .. أريد أن أقول إن منظره بهذه القامة [كل الممثلين يضحكون] لا يمكن إلا بصعوبة أن يمثلنى كما أنا فى الحقيقة ، بل يكون بصرف النظر عن الملامح كأنه يفسرنى كما أنا أو كما يشعر هو بأنى أكون إذا كان يشعر بى . . ولكنه لن يرانى كما أشعر أنا بنفسى من داخل نفسى

ويبدو لى أن من يُدْعىَ للحكم علينا، يجب أن يضع ذلك فى حسابه . .

المدير : إذن أنت تفكر الآن فيما يقوله النقاد ؟ وأنا ما زلت أحاول أن أتفهم المسرحية، دع النقد يقول مايشاء . الأفضل أن نحاول إتمام المسرحية ... إذا أمكننا ذلك .

[يخرج من بين مجموعة الممثلين وينظر حوله]

والآن هيا بنا ... هل أعد المنظر ؟

[الممثلين والشخصيات] هيابنا — أفسحوا المجال— أفسحوا المجال، أريد أن أرى .

[ينزل من على خشبة المسرح] لا أريد أن نضيع الوقت ..

[إلى ابنة الزوجة] أتعتقدين أن المنظر يبدو ملائما على هذا النحو .

ابنة الزوجة : فى الحق أنى لا آلف هذا المنظر على الإطلاق.

المدير : يا إلهى . هل تتخيلين أننا يمكننا أن نبنى هنا على المسرح نفس غرفة مدام «باتشى» التى تعرفينها ...

[موجهاً كلامه للأب] لقد قلت لى من قبل إن الجدران كانت مغطاة بأوراق مزخرفة برسوم أزهار .. أليس كذلك ؟

الأب : نعم .. بيضاء ..

المدير : بأزهار أم مخططة ، ما أهمية ذلك ؟ أمافيما يختص بالأثاث فلدينا فى القليل أو الكثير ما نحتاجه .. أزح هذه المنضدة قليلا إلى تلك الناحية ..

[عمال المسرح ينفذون] وأرجو [موجهاً كلامه لعامل الملابس] أن تحضر مظروفا ، وليكن أزرق إن أمكن وتعطيه له [يشير إلى الأب] ورسائل أيضاً .

عامل الملابس : ورسائل أيضاً ..

المدير : رسائل .. رسائل ..

عامل الملابس : فى الحال يا سيدى [يخرج]

المدير : هيا .. هيا . . [المشهد الأول للآنسة]

[الممثلة الأولى تتقدم]

لا .. لا .. انتظرى أنت .. قلت الآنسة ...

[يشير إلى ابنة الزوجة] انتظرى أنت وراقبى

ابنة الزوجة : [ترد على الحديث فى الحال] كيف أحيا الدور؟

الممثلة الأولى : [بغضب] سأعرف أن أعيشه أنا أيضا — بمجرد اندماجى فيه .. لا عليك .

المدير : [يضع يديه على رأسه] يا سـادة . . . كفى ثرثرة .. والآن المنظر الأول بين الآنسة

ومدام باتشى .. أوه

[يصرخ وينظر حوله فى يأس ثم يعود إلى خشبة المسرح] وأين مدام باتشى هذه ؟

الأب : إنها ليست معنا ياسيدى ..

المدير : وماذا نفعل ..

الأب : ما زالت تعيش – إنها تعيش هى أيضاً ..

المدير : حسنا .. ولكن أين هى ؟

الأب : اسمح لى بكلمة ..

[يستدير إلى الممثلات] أتسمحون سيداتى أن تعيرونى قبعاتكن لحظة .

الممثلات : [فى صوت واحد بين الدهشة والضحك] ماذا ؟ القبعات ؟ لِمَ ... ماذا يقول ؟ انظروا ؟

المدير : ما الذى تنوى أن تفعله بقبعات السيدات [الممثلون يضحكون]

الأب : أوه . . لا شئ . . أريد أن أضعها فوق هذه المشاجب . . ولتتكرم إحدى السيدات وتخلع معطفها كذلك .

الممثلون : [فى صوت واحد] المعاطف أيضاً ؟ ثم بعد لا بد أنه معتوه . . [بعض الممثلات بنفس اللهجة]

بعض الممثلات : ولكن لماذا ؟ المعاطف فقط ؟

الأب : لكى أضعها على المشاجب . دقيقة واحدة فقط . . أرجو أن تسدوا لى هذه الخدمة . . أتسمحون ؟

الممثلات : [الممثلات يخلعن القبعات وبعضهن يخلعن أيضاً المعاطف . . يواصلن الضحك . ويتجهن لتعليقها هنا وهناك على المشاجب] ولم لا . . ها هى ؟ هذا حقاً شئ مضحك . . هل نرتديها لنستعرض الأزياء .

الأب : بالضبط ترتدونها فى استعراض للأزياء .

المدير : هل تسمح لى بأن أعرف ما الذى تريد أن تفعله بعرضها ؟

الأب : نعم . . إذا رتبنا المسرح بطريقة أفضل من ذلك . . فمن يعرف ربما تجذبها معروضات تجارتها إلى الظهور بيننا . .

[يدعوهم إلى إلقاء نظرة من باب المسرح الخلفى]

انظروا .

[يفتح البـاب الخلفى وترى مدام باتشى على بعدخطوات تنوء تحت حمل ثقيل من البدانة — تضع شعراً مستعاراً لونه أصفر وقد زينته وردة حمراء على أحد الجوانب على الطريقة الأسبانية . . تكاد تخفى وجهها المساحيق . . ترتدى فى أناقة منفرة ثوباً من الحرير الأحمر فى تظاهر واضح . . وبيدها مروحة من الريش واليد الأخرى ترتفع بسيجارة مشتعلة بين أصبعيها . . وبمجرد ظهورها يولى المخرج والممثلون الأدبار عن خشبة المسرح لتنطلق من حناجرهم صيحة

فزع متجهين نحو درجات السلم هاربين فى الممرات .
ولكن ابنة الزوجة تتقدم نحو مدام باتشى فى خضوع
كما لو كانت تتقدم من رئيستها . .]

ابنة الزوجة : [مندفعة إليها] ها هى . . ها هى . .

الأب : [متهللا] إنها هى ألم أقل لكم .. ها هى .

المدير : [بعد أن تغلب على دهشته وقد شعر أنه استهزأ به]
ما هذه الألاعيب ؟

الممثل الأول : أين نحن . . ما هذا ؟

الممثل الشاب : من أين جاءت هذه المخلوقة ؟

الممثلة الشابة : كانوا يخفونها فى أكمامهم !

الممثلة الأولى : هذه ألاعيب حواة .. [الأربعة يقولون هذه الاحتجاجات فى صوت واحد تقريباً] .

الأب : [فى صوت مرتفع يطغى على أصوات الاحتجاجات]
أرجو المعذرة .. ولكن لماذا تريدون أن تفسدوا خلف ستار من حقيقة رخيصة فى الواقع هذه المعجزة التى ولدت ونشأت وانجذبت بنفس المشهد الذى نحيا فيه، وهى حقيقة لها حق الحياة هنا أكثر منكم.. لأنها أكثر حقيقة منكم ؟ من منكم أيها الممثلات ، يمكنها أن تتقمص دور مدام باتشى ؟ حسنا ، ها هى مدام باتشى ..

سلمو امعى بأن الممثلة التى ستتقمص دورها ستكون أقل حقيقة من هذه التى ترونها هى نفسها بدمها ولحمها ، انظروا .. لقد تعرفت عليها ابنتى واندفعت نحوها على الفور والآن قفوا وشاهدوا هذا المنظر.

[هنا يعود المدير والممثلون المسرح من جديد . ويبدأ المشهد بالفعل بين ابنة الزوجة ومدام باتشى أثناء احتجاج الممثلين ورد الأب عليهم . يبدأ المشهد فى همس وهدوء بطريقة لا تصلح للمسرح . وعندما يطيع الممثلون كلام الأب بمشاهدة ما سيحدث ، يلاحظون أن مدام باتشى قد وضعت بالفعل يدها أسفل ذقن ابنة الزوجة لترفع رأسها إليها وبدأت فى الكلام معها — وعندما يسمعون كلامها يؤخذون لحظة ، ثم تنتابهم الحيرة] .

المدير : وماذا ؟

الممثل الأول : ولكن ماذا تقول ؟

الممثلة الأولى : بهذه الطريقة لاتستطيع أن تسمع شيئا .

الممثل الشاب : ارفعى صوتك .. ارفعى صوتك ..

ابنة الزوجة : [تترك مدام باتشى التى تضحك بطريقة رخيصة وتتقدم إلى جمهرة الممثلين] : ارفعى صوتك ... ماذا تعنى بارفعى صوتك ... إن حديثنا ليس من المسائل التى تقال بصوت عال ... لقد تحادثت عنه .. بصوت عال من قبل بقصد إخجاله .

[تشير إلى الأب] لكي أنتقم منه ... ولكن هذا شئ آخر. أما بالنسبة لمدام باتشى أيها السادة فذلك معناه السجن .

المدير : حقاً .. أهو كذلك ؟.. ولكن هنا يجب أن نصل إلى الأسماع يا عزيزتى .. لم نتمكن أن نسمع نحن وكنا نقف على خشبه المسرح؟ فتخيلى كيف يكون الأمر حينما يحضر الجمهور إلى المسرح — يجب أن نقوم بالمشهد، وفضلا عن ذلك يمكنكما أن تتكلما بصوت عال فيما بينكما . لأننا لن نكون موجودين كما هو الحال الآن لنسمع ما يجرى بينكما : فإنما تتظاهران بأنكما وحدكما فى حجرة عند مدام باتشى حيث لا يسمعكما أحد .

[ابنة الزوجة تحرك أصبعها فى رشاقة وعلى وجهها ابتسامة خبيثة علامة الرفض] .

المدير : وكيف لا ؟

ابنة الزوجة : [فى همس غريب] هنـــاك شخص يسمعنا يا سيدى إذا تكلمت هى .

[تشير إلى مدام باتشى] بصوت مرتفع .

المدير : [فى غضب تام] ربما تقصدين أن شخصاً

آخر سيطلع علينا ؟

[يبدأ الممثلون فى الحركة كأنهم يهمون بترك المسرح مرة أخرى]

الأب : لا . . لا يا سيدى . إنها تقصدنى أنا . . يجب أن أكون أنا منتظراً خلف هذا الباب . . ومدام تعرف ذلك . . وعلى ذلك فاسمحوا لى . . سأذهب حتى أكون على استعداد . .

[يبتعد]

المدير [يوقفه] لكن لا . . انتظر لحظة . . هنا يجب أن تحترم تقاليد المسرح ! قبل أن تستعد . .

ابنة الزوجة : [مقاطعة] بل نعم ، دعنا نبدأ هذا المنظر حالا ، حالا فإنى أتحرق شوقاً لكى أعيش هذا الدور ، ولكى أرى هذا المشهد . . إذا أراد أن يبدأ فى الحال فأنا على استعداد . .

المدير : [صارخاً] ولكن قبل كل شىء يجب أن يتضح الموقف بينك وبين هذه .

[يشير إلى مدام باتشى] . . هل تفهمين ذلك؟

ابنة الزوجة : أوه . . يا إلهى . لقد قالت لى مدام باتشى ما تعرفون . . إن صناعة أمى كانت سيئة من جديد ، وكان الثوب ردىء الحياكة . وإنى يجب أن أصبر كثيراً حتى تساعدنى

على تقويم ما انتابنى من سوء الحظ .

مدام باتشي : [تتقدم وحولها هالة من الأهمية] تقول بلهجة غير سليمة . . نعم ياسيدى لماذا لا تريد أن أكسب أنا [تقال فى لكنة أجنبية]

المدير : [فى لهجة يشوبها أكثر من الخوف] ماذا .. ماذا ؟ لماذا تتكلم على هذا النحو ؟ .

[الممثلون ينفجرون ضاحكين بصوت عال] .

ابنة الزوجة : [تضحك هى أيضاً] إنها تتكلم هكذا بلهجة نصفها إسبانى ونصفها إيطالى ، بطريقة مضحكة للغاية .

مدام باتشي : لكنة أجنبيـــة . هذه ليست تربية ، أنتم تضحكون على . . أنا أتعب نفسى كى أكلمكم يا سيدى .

المدير : لا بالعكس تكلمى بطريقتك يا سيدتى . . إن ذلك سيثير إعجاب المتفرجين جميعاً . . وهذا أقصى ما نتمناه . . لكنتك ستؤدى إلى التخفيف من حدة هذا الموقف الجاف .. تكلمى بطريقتك إن هذا فى منتهى الروعة ..

ابنة الزوجة : عظيم . . ولم لا ؟ حينما تستمع إلى طلباته ، بمثل هذه اللهجة ، فلا شك فى أن التأثير سيكون عظيما ، لأن الأمر كله سيبدو مزاحاً

يا سيدى . . وهنا ستضحك عند ما تسمع أن سيداً عجوزاً يريد أن يقضى وقتاً جميلا .. أليس كذلك يا مدام ؟

مدام باتشى : ليس عجوزاً .. فإذا كنت لا ترتاحين له فإنه يعلمك . .

الأم : [الممثلون منهمكون فى تتبع الموقف وكانوا قد صرفوا النظر عن الأم ولكنهم يحملقون فيها بعد أن تنهض واقفة وتصرخ مهاجمة مدام باتشى . . يسرع الممثلون يمنعوها لأنها كانت قد انتزعت شعر مدام باتشى المستعار وطرحته أرضاً] .
مشعوذة . . مشعوذة . . قاتلة . . ابنتى :

ابنة الزوجة : [تسرع لتهدئ من ثائرة أمها] لا ، لا ، أمى لا .. أرجوك .

الأب : [يندفع هو أيضاً فى نفس الوقت] اهدئى ياعزيزتى اهدئى الآن .. اجلسى .

الأم : ابعدوا هذه المرأة من أمامى إذن . .

ابنة الزوجة : [للمدير الذى تقدم هو أيضاً فى سرعة] مستحيل ! مستحيل على أمى أن تبقى هنا .

الأب : [هو أيضاً للمدير] لا يمكن بقاء الاثنتين معاً ! ومن أجل ذلك ترى أن تلك لم تكن معنا عند ما جئنا فى أول الأمر .. لو جئنا معاً لكان فى ذلك سبق للحوادث .

المدير : لا يهم .. لا يهم . كل هذا حتى الآن بمثابة

بجربة .. سنحتاج لكل شيء .. حتى
أستطيع أنا أن استخلص العناصر المهمة
من كل هذا الخليط ..

[يلتفت إلى الأم ويقودها إلى الجلوس من جديد
فى مكانها] تعالى . تعالى ياسيدتى .. هدئى من
روعك .. وتفضلى بالجلوس .

[فى هذه الأثناء تتجه الابنة متقدمة إلى وسط المسرح
من جديد .. متجهة إلى مدام باتشى] .

ابنة الزوجة : هيا .. هيا إذن يا مدام ..

مدام باتشى : [مستاءة] أوه أشكرك كثيراً .. لا أستطيع
أن أفعل أى شيء طالما أن أمك موجودة
هنا ..

ابنة الزوجة : هيا .. هيا .. ادخلى السنيور العجوز الذى
يريد أن يقضى معى وقتاً لطيفاً .

[تلتفت إلى الآخرين وتقول بلهجة آمرة]
نعم .. ينبغى أن يتم هذا المشهد . يتم
بدقة .. فهيا . [تلتفت إلى مدام باتشى] يمكنك
أن تذهبى الآن عن هذا المكان ..

مدام باتشى : آه .. إنى ذاهبة .. بلا شك لابد أن
أمشى ..

[تخرج فى غضب ، وتعيد وضع الشعر المستعار وتنظر
بفخر إلى الممثلين .. الذين يصفقون بتهكم .

ابنة الزوجة : [للأب] والآن ؛ ادخل أنت . . لاداعى لأن تدخل وتخرج مرة أخرى . تعال هنا تظاهر بأنك دخلت .. ها أنا أقف هنا . . خافضة الرأس فى خجل — اخرج صوتك وقل صباح الخير يا آنسة بتلك الطريقة الخاصة التى تعرفها كشخص دخل لتوه من الشارع .

المدير : [كان فى هذه الأثناء قد نزل من على المسرح] يالله ! ولكن هل تقومين أنت بالإشراف على هذه المسرحية أم أشرف عليها أنا

[موجهاً كلامه للأب الذى يبدو متردداً مضطرباً]

نعم .. نفذ .. اذهب إلى هناك دون أن تخرج ثم عد مرة ثانية .

[الأب ينفذ مضطرباً شاحب الوجه جاداً . . يبتسم عند ما يتقدم من مؤخرة المسرح منهمكاً فى حقيقة حياته التى تجددت . يبتسم كأنه لا يعرف المأساة التى توشك أن تحدث له — يبدو اهتمام الممثلين بالمشهد الذى سيبدأ]

[المـــدير يهمس بسرعة للملقن فى الصندوق]

وأنت انتبه لكى تبدأ فى الكتابة الآن ..

المنظر

الأب : [يتقدم إلى الأمام . . ويقول فى صوت مغاير]

ـصباح الخير يا آنسة !

ابنة الزوجة : [خافضة الرأس . . تتكلم باحتقار وتحفظ]
صباح الخير .

الأب : [يتفحصها قليلا من أخمص قدميها حتى يبلغ القبعة التى تخفى وجهها تقريباً ، عند ما يرى أنها صغيرة السن جداً ، يصيح محدثاً نفسه محاولا من ناحية أن يرضيها ، ومن ناحية أخرى ألا يزج بنفسه فى مغامرة لا يؤمن جانبها] آه .. ولكنى أقول ، هذه ليست المرة الأولى ، أليس كذلك ؟ المرة الأولى التى تأتى فيها إلى هنا .

ابنة الزوجة : [بنفس الطريقة التى تكلمت بها من قبل]
لا يا سيدى .

الأب : لقد جئت هنا عدة مرات من قبل إذن ؟
[تهز ابنة الزوجة رأسها علامة الإيجاب] —
أكثر من مرة ؟
[ينتظر الإجابة قليلا ثم يعود إلى تفحصها من أخمص قدميها إلى القبعة ، ويبتسم ثم يقول] : إذن هيا لا ينبغى أن ترددى . . أتسمحين لى بأن أخلع عنك قبعتك ؟

ابنة الزوجة : [فى الحال حتى تمنعه من أن يفعل ذلك وتضطرب غير مستطيعة أن تخفى احتقارها] لا يا سيدى . . . سأخلعها بنفسى ! !
[تخلع قبعتها بسرعة] .

[تتابع الأم المشهد مع ابنها ومع الصغيرين الآخرين اللذين يلتصقان على الدوام بها التصاقاً شديداً متجمعين فى الناحية المواجهة للممثلين – تتابع الأم وهى متوترة الأعصاب تنتابها مشاعر مختلطة من الألم والاحتقار والقلق والفزع – تتابع حركات الابنة والأب ، ثم تقوم من آن لآخر بإخفاء وجهها براحة يدها وتتنهد]

الأم : رباه ! رباه !

الأب : [يستمر فى مكانه فترة طويلة وقد حولته هذه الصرخة إلى قطعة من الحجر الأصم، ثم يستمر متابعاً كلامه بنفس الطريقة] :
هيا ... دعينى الآن آخذ قبعتك لأعلقها لك [يأخذ القبعة من يدها] ولكن هذا الرأس الصغير الجميل يجب أن يرتدى قبعة أجمل من هذه بكثير ... ألا ترغبين أن تساعدينى على اختيار قبعة من بين قبعات المدام . . ألا تودين ؟

الممثلة الشابة : [مقاطعة له] أوه لنأخذ حذرنا فالقبعات المعلقة هى قبعاتنا !

المدير : [فى الحال وبغضب شديد] أرجوك السكوت من فضلك ولا تحـاولى الدعابة ! فنحن أمام هذا المشهد .
[يلتفت إلى ابنة الزوجة] استمرى يا آنسة ؟

ابنة الزوجة : [مستمرة فى حديثها] لا ! شكراً ياسيدى ..

الأب : هيا لا تقولى ، لا ، قولى إنك قبلت ــ لكى ترضيني فقط .. لأنى سأستاء جــدا إذا رفضت ! وبذلك نرضى المدام أيضاً ، فهى تعرض القبعات لهذا الغرض !

ابنة الزوجة : ياسيدى أرجوك . . لا أستطيع حتى مجرد ارتداءها .

الأب : إنك تفكرين فيما سيقولونه لك عند ماتدخلين المنزل ، وعلى رأسك قبعة جميلة جديدة ، أليس كذلك ؟ أتعرفين ماذا تقولين لهم فى المنزل ؟

ابنة الزوجة : [فى ضيق فلم تستطع الاحتمال] لا يا سيدى ... ليس من أجل ذلك . إنى لا أستطيع أن أرتديها لأنى ... كما ترى .. كان يجب أن تلاحظ ذلك منذ البداية !

[تشير إلى ثياب الحداد]

الأب : أنت محقة لأنك حزينة ! آسف . حقيقة لقد أدركت ... أرجوك أن تقبلى عذرى صدقيني إنى فى غاية الأسف .. صدقيني .

ابنة الزوجة : [تبذل كل جهدها لكتمان ما تشعر به من قلق وغضب واحتقار] كفى ، كفى ياسيدى ! يجب

على حقاً أن أشكرك ، فليس هناك داع
لأن تأسف هكذا وتحزن . . . أرجوك
ألا تفكر مرة أخرى فيما قلت ! وأنا أيضاً
كما تعرف [تحاول أن تبتسم] يجب أن أنسى
أنى أرتدى هذه الثياب !

المدير : [مقاطعا - يصعد إلى المسرح ثم يوجه كلامه إلى الملقن]
انتظر ، انتظر ! لا تكتب وتغاض عن
هذه الفقرة الأخيرة [ملتفتاً إلى الأب وابنة
الزوجة] حسن ! حسن جداً !
[إلى الأب فقط] :
أنت بعد ذلك تستمر كما اتفقنا .
[إلى الممثلين] الموقف الذى يقدم لها فيه
القبعة موقف جميل ، ألا ترون ذلك ؟

ابنة الزوجة : ولكنكم ستشاهدون الآن ما هو أفضل ...
لماذا لا نستمر ؟

المدير : اصبرى قليلا ! لحظة واحدة .
[يلتفت ويوجه كلامه إلى الممثلين] طبعاً !
يجب معالجة هذا الموضوع بشيء من اللين .

الممثل الأول : نعم بشيء من الرقة !

الممثلة الأولى : ليس ثمة صعوبة فى ذلك إطلاقاً .
[إلى الممثل الأول] يمكننا أن نجرى التجربة ،
أليس كذلك ؟

المثل الأول : فيما يختص بي . . . سأذهب وأستعد للدخول

[يخرج لكي يستعد للدخول من جديد من الباب الخلفي]

المدير : [للممثلة الأولى] إذن انتهى . . . لقد انتهى المنظر بينك وبين مدام باتشي – وأتولى أنا كتابته فيما بعد . تقفين هنا . . . لا ، إلى أين أنت ذاهبة ؟

الممثلة الأولى : انتظر . . . سوف أرتدى القبعة .

[تذهب وتأخذ قبعتها من على المشجب وترتديها]

المدير : حسن جداً ! والآن قفى هنا خافضة الرأس .

ابنة الزوجة : [مسرورة] ولكنها لا ترتدى ثياب الحداد ؟

الممثلة الأولى : سأكون مرتدية ثياب الحداد وستناسبنى أكثر منك ؟

المدير : [إلى ابنة الزوجة] أرجو أن تسكتى وتراقبى – ستجدين ما تتعلمين .

[يصفق بيديه] هلموا ! هلموا ! – دخول !

[ينزل من جديد من على خشبة المسرح حتى يرى من وجهة نظر المتفرجين كيف يبدو المشهد . يفتح الباب الخلفى ، ويدخل الممثل الأول تبدو عليه سمات النشاط والحيوية التى يحاول أن يتظاهر بها رجل عجوز متأنق . يبدو أداء هذا المشهد مختلفاً تماماً عن المشهد الذى قامت به من قبل الشخصيات . فيجب أن يبدو هذا المشهد مغايراً تماماً لما قبله وليس فيه أى تقليد .

ومن الطبيعى هنا ألا تتمكن ابنة الزوجة والأب من الإحساس بشخصيهما فى الممثلة الأولى والممثل الأول اللذين يقومان بأداء دوريهما . ومع ذلك فهما يسمعان نفس الكلمات التى قالاها تتردد على أفواه الممثلين ، فينعكس رد الفعل عليهما فى حركات غريبة تصدر منهما ، فأحياناً تبدو على وجهيهما ابتسامة،وأحياناً يأتيان بإشارات تدل على الامتعاض،وأحياناً يبديان معارضتهما بوضوح . وفى النهاية تبدو عليهما الدهشة والتعجب،ويبدو عليهما كذلك أنهما يقاسيان بشدة .. يسمع صوت الملقن بوضوح]

الممثل الأول : « صباح الخير يا آنسة . . . »

الأب : [فى الحال غير مستطيع أن يسيطر على أعصابه] لا ! لا .

[وعند ما ترى ابنة الزوجة الممثل الأول أثناء تأديته لدوره تنفجر ضاحكة]

المدير : [بغضب] اسكتى . . . وهذه آخر مرة أنبهك فيها إلى عدم الضحك هكذا،وإلا فإننا لن نفعل شيئاً إذا استمر الأمر على هذه الحال !

ابنة الزوجة : [تبتعد عن المكان الذى يمثلون فيه] أرجو المعذرة ولكن هذا شىء طبيعى جداً يا سيدى فالآنسة .

[تشير إلى الممثلة الأولى] وقفت فى مكانها

دون أن تتحرك أو ترتعد . . وإذا كانت فعلا تريد أن تمثلني . . . فإني أؤكد لك أني إذا سمعت أحدا يقول لى « صباح الخير يا آنسة » بهذه الطريقة وهذه اللهجة ، فسأنفجر ضاحكة فى الحال كما ضحكت الآن تماماً ؟

الأب : [يتقدم هو أيضاً إلى الأمام قليلا] نعم إن ما تقوله صحيح . . . طريقته ، اللهجة التى يتكلم بها . . .

المدير : أى طريقة ! وأى لهجة ! أرجوكم أن تنتحوا جانباً ودعونى أشاهد هذه التجربة .

الممثل الأول : [يتقدم إلى الأمام] وأنا أقوم الآن بدور رجل عجوز ، يدخل منزلا مشكوكاً فيه .

المدير : نعم ... أرجو ألا تلتفت إلى هذا الرجل... استمر ! استمر ... كان كل شيء يسير سيراً حسناً ؟

[فى انتظار استعادة الممثل الأول لدوره] إذن ...

الممثل الأول : « صباح الخير يا آنسة . . . »

الممثلة الأولى : « صباح الخير »

الممثل الأول : [يقلد حركات الأب ويتفحص الممثلة الأولى ، يحملق فيها من تحت القبعة ، ثم يعرب بوضوح عن رضائه

أولا، ثم عن خوفه] آه . . . أملى ألا تكون هذه هى المرة الأولى . . .

الأب : [لا يستطيع مقاومة التدخل لتصحيح ما قاله] ليس « أملى » . . . أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ . .

المدير : لا فرق . ! « أليس كذلك » أو « أملى » ، كله واحد ! استمر — استمر هكذا ، أعتقد أنك لا يجب أن تكون جاداً إلى هذه الدرجة . أرجوك أن تقف سأريك ما أعنى أنتبه إلى

[يصعد إلى خشبة المسرح ثم يدخل ويؤدى هو دور الممثل الأول حتى حركة الدخول]

صباح الخير يا آنسة . . . »

الممثلة الأولى : « صباح الخير . . . »

المدير : آه . . . ولكن ... أقول . . .

[يلتفت إلى الممثل الأول ليجعله يلاحظ الطريقة التى ينظر بها إلى الممثلة الأولى من أسفل إلى قبعتها] : دهشة . . خوف ، ورضاء [ثم يستدير إلى الممثلة الأولى موجهاً كلامه إليها] ليست هذه هى المرة الأولى ، التى تحضرين فيها إلى هنا ، أليس كذلك ؟ [يستدير مرة أخرى إلى الممثل الأول بنظرة فاحصة] واضح ؟

[إلى الممثلة الأولى] ثم تقولين أنت « لا ياسيدى »
[للممثل الأول من جديد] وباختصـــار ليكن
ذلك ، ماذا أقول ؟ ... فى مرونة
[ينزل من فوق خشبة المسرح مرة أخرى] .

الممثلة الأولى : « لا ياسيدى . . »

الممثل الأول : جئت هنا من قبل ؟ أكثر من مرة ؟

المدير : لا ! ، انتظر لحظة . . . يجب أن تعطيها الفرصة .
[يشير إلى الممثلة الأولى] لكى تومئ برأسها أن نعم ، « لقد جئت هنا من قبل » .
[ترفع الممثلة الأولى رأسها وتغلق عينيها بألم معربة عن امتعاضها ، وعند ما يصيح المدير قائلا « اخفضى رأسك » ، تومئ برأسها مرتين]

ابنة الزوجة : [غير مستطيعة أن تسيطر على نفسها] أوه يا إلهى
[تضع يدها على فمها لتكتم ضحكتها]

المدير : [يلتفت إليها] ماذا حدث ؟

ابنة الزوجة : [فى الحال] لا شىء . . . لا شىء !

المدير : [للممثل الأول] إنه دورك ، إنه دورك استمر !

الممثل الأول : أكثر من مرة ؟ حسناً « إذن هيا . . . لا ينبغى أن ترددى — هل تسمحين بأن أخلع عنك قبعتك ؟

[يقول الممثل الأول هذه الجملة الأخيرة بطريقة غريبة ويصاحبها بحركة ، وعند ما ترى ابنة الزوجة ذلك،وكانت تضع يدها على فمها ، لا تستطيع أن تكتم ضحكتها وتحاول بيأس أن تمنع نفسها من الضحك دون جدوى،وتخرج منها فى النهاية ضحكة صاخبة تحدث هرجاً شديداً]

الممثلة الأولى : [وقد استهزئ بها ، تستدير إليها فى غضب بالغ] أنا لن أقف هكذا لأكون أضحوكة هذه المرأة !

الممثل الأول : ولا أنا أيضاً ! لنوقف كل شىء !

المدير : [يصرخ فى ابنة الزوجة] كفى ، كفى !

ابنة الزوجة : حسناً . . . معذرة ، معذرة !

المدير : أنت قليلة الأدب ـ هو ذلك ! دعيه !

الأب : [محاولا أن يتدخل] نعم يا سيدى أنت على حق ـ ولكن يجب أن تعذرها . . .

المدير : [يعود إلى الصعود على خشبة المسرح] كيف أعذرها ... إن سلوكها فى غاية الانحطاط .

الأب : نعم، ولكن صدقنى أن التمثيل له تأثير غريب .

المدير : غريب ... أية غرابة ! ماهو الغريب فيه ؟

الأب : إنى ياسيدى معجب بتمثيلك .. هذا السيد [يشير إلى الممثل الأول] وهذه الآنسة .. [يشير إلى الممثلة الأولى] ولكن الواقع ...

الحقيقة .. الواقع أنهما ليسا نحن .

المدير : بحق السماء .. كيف تريد أن يكونا أنتم إنهما ممثلان .

الأب : هما ... ممثلان والاثنان يجيدان تمثيل دورنا ، ولكن عندما يمثلان يبدوان لناشيئاً آخر ، إنهمـــا يريدان أن يكونا مثلنا وللأسف ليسا مثلنا بأية حال .

المدير : ولكن كيف لا يكونان مثلكما ؟ مثل من هما إذن ؟

الأب : شيء من عندياتهم .. وليس من صميمنا

المدير : هذا شيء يحدث بالضرورة ! كما قلت من قبل

الأب : أفهم .. أفهم ذلك ...

المدير : إذن ... كفى !

[ملتفتاً إلى الممثلين] سنراجع المسرحية بعـــد ذلك فيما بيننا كالعادة . كان مما يضايقنى دائما أن أجرى التجارب فى حضور المؤلفين. فالمؤلف لا يرضيه شيء على الإطلاق .

[إلى الأب وابنة الزوجة] والآن لنشـــترك معهم ، لنرى ما إذا كان فى الإمكان أن تكف هذه الآنسة عن الضحك .

ابنة الزوجة : أوه ، أعدك أنى لن أضحك مرة أخرى

	لن أضحك ثانية . إن أجمــل جزء فى دورى سيأتى الآ ن ، انتظر وسوف ترى
المدير	: حسنا .. عندما تقولين أنت أرجو أن تنسى ما قلت لك الآن من أجلى أتفهم ؟
	[ملتفتاً إلى الأب] وهنا ينبغى أن تبدأ أنت فى الحال أفهم ! آه أفهم ... ثم تسأل فى الحال .
ابنة الزوجة	: [مقاطعة] وكيف – ماذا يسألنى ؟
المدير	: يسألك لماذا ترتدين ثياب الحداد ؟
ابنة الزوجة	: أوه كلا .. ليس الأمر كذلك ياسيدى ! اسمع عندما أخبرته بألا يفكر فيما أرتديه من ثياب الحداد . أتعرف ماذا قال ؟ « حسنا دعينا نخلع الرداء على الفور » !
المدير	: جميل ! رائع ! هل تريدين بذلك أن ينقلب المسرح رأساً على عقب ؟
ابنة الزوجة	: ولكن هذه هى الحقيقة .
المدير	: ما هى الحقيقة التى تحدثيننا عنها دائماً ؟ إننا هنا فى مسرح ... الحقيقة شىء جميل ولكن إلى حد معين !
ابنة الزوجة	: وماذا تريد إذن ؟
المدير	: سترين ! سترين ! دعينى أتصرف أنا الآن !

ابنة الزوجة : لا ، يا سيدى . إن اشمئزازى وجميع الأسباب التى جعلت منى إنسانة على هذه الصورة أسـباب كل منها شر من الآخر — فهل تريد أن تستخرج من هذا قطعة عاطفية مثيرة ؟ . . . فتجعله يسألنى عن أسباب ارتدائى ثياب الحداد ، فأجيبه والدموع تتساقط من عينى ، بأن أبى توفى منذ شهرين ... لالا يا سيدى العزيز ينبغى أن يقول ما قاله تماماً « حسناً دعينا إذن نخلع هذا الرداء على الفـور » وأنا بكل ما أحمله فى قلبى من حزن . . . ولم يكد ينقضى شهران ، ذهبت إلى هناك . أترى؟ هناك خلف هذا الحاجز .. وبأصابعى هذه التى ترتعد من الخزى والعار ، علقت قميصى على المشجب .

المدير : [يجرى يده فى شعر رأسه] يا إلهى . . . ما هذا الذى تقولين ؟

ابنة الزوجة : [صائحة فى عصبية] الحقيقة . . . الحقيقـة يا سيدى !

المدير : نعم لاأنكر ، قد تكون هذه هى الحقيقة . وأنا أفهم وأقدر كل ما لاقيت من أهوال

يا آنستى ، ولكن يجب أن تدركى أنت أيضاً أن كل ذلك لا يمكن أن يخرج كمشهد على المسرح .

ابنة الزوجة : أوه ... غير ممكن؟ إذن فشكراً جزيلا ، لن أبقى هنا لحظة واحدة .

المدير : لا ! انتظرى !

ابنة الزوجة : لن أبقى لحظة واحدة ! لن أبقى هنا لحظة واحدة ! إن ما يمكن تمثيله على المسرح قد دبرتماه معاً أنتما الاثنان هناك — فشكراً جميلا ! إنى أفهم جيداً فهو يريد أن يمثل ...

[تقول ذلك بعنف] المشهد الذى يقدم لنا فيه مشاعره النفسية ، ولكنى أريد أنا أن أقدم مأساتى ... مأساتى أنا !

المدير : [يهز كتفيه فى ضيق] أوه.. أخيراً مأساتك أرجوك ، ألا يوجد إلا مأساتك فقط — هناك أيضاً مأساة الآخرين ! مأساته .

[يشير إلى الأب] ومأساة أمك ! ولا يمكن أن تظهر شخصية واحدة وتبرز جدا ، وتطغى على الشخصيات الأخرى ، وتسرق المشهد ، بل يجب أن يدخل الجميع فى إطار متجانس

واحد يقدم فيه فقط ما يصلح للتقديم !
وأنا أدرك أيضاً أن كلا منكم يحمل بين طيات نفسه حياة كاملة يريد أن يخرجها إلى العالم أجمع . ولكن هذا هو المشكل: القدرة على إخراج ماهو ضرورى فقط فى علاقته بالآخرين ، هذا القليل الذى نخرجه يجب أن يوضح كل ما بقى من جوانب الحياة التى تكمن فى هذه الشخصية . آه ، إن المشكلة لتصبح فى غاية البساطة لو أن كل شخصية أمكنها فى حوار صغير لطيف ودون أن تلجأ إلى محاضرة طويلة، ودون أن تستعرض نفسها بكل ما يعتمل فى جوانبها أمام الجمهور .

[بلهجة رقيقة ليقنعها] حاولى أن تسيطرى على نفسك يا آنسة ، وصدقينى أن هذا فى صالحك أيضاً ، إنى أحذرك فإن كل هذا الغضب قد يكون له أثر سيئ .. كل هذا الغضب الشديد والاشمئزاز المبالغ فيه ... . وبالأخص قد ذكرت — أرجو أن تعذرينى لقولى هذا — إنك اختليت برجال آخرين

قبله عند مدام باتشى ، وقلت كذلك إن هذا حدث أكثر من مرة .

ابنة الزوجة : [تطأطئ رأسها ، لحظة من التأمل ، ثم تقول فى صوت عميق] هذا صحيح ولكنك يجب أن تعرف أن كل هؤلاء الآخرين يتساوون تماما معه بالنسبة لى .

المدير : [لا يفهم] كيف الآخرين ؟ ماذا تعنين ؟

ابنة الزوجة : فبالنسبة لمن يرتكب المعصية ياسيدى لا يكون دائماً أول من سبب هذه السقطة هو المسئول عن كل ما يليها من معصيات — وبالنسبة لى أنا كان هو السبب حتى قبل أن أولد أنا انظر إليه وسترى أن كلامى صحيح .

المدير : حسن جدا ! وهل يبدو هذا العبء الثقيل عليه من تأنيب الضمير شيئاً بسيطاً بالنسبة لك ؟ امنحيه الفرصة ليمثله أمامنا !

ابنة الزوجة : ولكن اسمح لى ، كيف يمكنه أن يمثل تأنيب ضميره « النبيل وآلامه المعنوية » ؟ إذا كنت تريد أن تخلصه من الفزع الذى ينبغى أن ينتابه من وجودها بين ذراعيه بعد أن دعاها لأن تخلع ثوب الحداد ، والحداد لم تمض عليه فترة

طويلة ... إن الزمن لم يتكفل بالقضاء على أحزانها بعد، والفزع من وجود تلك الطفلة التى كان يذهب ليراها، وهى تخرج من المدرسة وقد تحولت إلى امرأة بل إلى امرأة ساقطة !

[تقول هذه الكلمات الأخيرة بصوت ممتلئ بالعاطفة ، عندما تسمع الأم هذا الحديث تبكى بشدة معبرة عن الأسى الذى ينتابها ، وأخيراً تنفجر فى بكاء مرير ، يؤثر هذا البكاء على جميع من فى المسرح ، فترة صمت طويلة] .

ابنة الزوجة : [بمجرد أن تهدأ الأم وتكف عن البكاء تقول فى صوت حزين] نحن هنا فى هذه اللحظة غير معروفين للجمهور ، وغداً ستقدمنا كما تشاء ، بعد أن تخرج مسرحيتك بالطريقة التى تروق لك ، ولكن هل تريد مشاهدة مأساتنا كما حدثت حقيقة فى حياتنا .

المدير : نعم . . . لا يمكننى أن أطلب أكثر من ذلك — حتى يمكننى أن استعد من الآن بما يمكن الاستعانة به منها ! .

ابنة الزوجة : حسن ... اخرج هذه الأم من هنا إذن .

الأم : [تنهض واقفة ويرتفع بكاؤها إلى صراخ شديد] لا . . . لا . . . لا تطلب منهم أن يفعلوا

ذلك . . . لا تسمح ياسيدى . . . لا تسمح بذلك .

المدير : هذا للتجربة فقط يا سيدتى .

الأم : إنى لا أستطيع ! لا أستطيع !

المدير : ولكن ما دام كل شئ قد حدث بالفعل ! أن موقفك الآن غير مفهوم .

الأم : إذا حدث الآن أو تكرر حدوثه دائماً فإن عذابى لن ينتهى يا سيدى !
إنى على قيد الحياة وموجودة دائماً فى كل لحظة من لحظات عذابى — عذاب حى وموجود دائماً . ولكن هذان الطفلان هناك هل سمعتهما يتكلمان ؟ لم يعد فى استطاعتهما الكلام ياسيدى ! وما زالا يتعلقان بى حتى يبقيا عذابى حياً وموجوداً . أما فيما يختص بها أيها السادة
[تشير إلى إبنة الزوجة] فلم يعد لها وجود ... لقـــد فرت ، هربت منى وضلت سواء السبيل . . . وإذا كنت آراها الآن هنا ، فلهذا السبب فقط يتجدد عذابى دائماً ، دائما ، دائماً عذاب حى وموجود ، العذاب — الذى قاسيته بسببها أيضاً !

الأب : [بحزن] هذه هي اللحظة الأبديه كما أخبرتك يا سيدى فهى .
[يشير إلى ابنة الزوجة] موجودة هنا لتمسك بى وتثبتنى وتبقينى مأرجحاً ومغلقاً إلى الأبد فى مشنقة هذه اللحظة بالذات من الخزى والعار تصم حياتى ، إنها لا يمكنها أن تتخلى عن دورها ، وأنت يا سيدى ... لا يمكنك فى الواقع أن تجنبنى هذا العذاب .

المدير : صحيح ولكنى لم أقل إننى لن أخرج هذا المشهد ؛ لأنه فى الواقع يكون نواة الفصل الأول حتى تحين اللحظة التى تفاجئك معها [يشير إلى الأم] .

الأب : هذا صحيح ، هذا هو عقابى يا سيدى . كل عواطفنا تبلغ قمتها فى صرخاتها النهائية . [يشير هو أيضاً إلى الأم]

ابنة الزوجة : إنه ما زال يدوى هنا فى أذنى ، لقد دفعت بى تلك الصرخات إلى الجنون ، يمكنك أن تمثلنى كما تريد يا سيدى ، هذا لا يهم ، حتى وأنا مرتدية ملابسى إذا أردت ، ولكن يجب أن تترك ذراعى على الأقل ... ذراعى عاريتين فقط ، لأنى كما ترى [تقترب من الأب

وتضع رأسها على صدره]
إذا وقفت هكذا ، ورأسي مستند هكذا ، وذراعاى هكذا حول عنقه ، فقد رأيت فى ذراعى عرقاً ينبض ، هذا العرق النابض الذى أثار فىّ الإحساس بالرعب فأغمضت عينىّ هكذا، ودفنت رأسى فى صدره .
[تستدير إلى الأم] اصرخى ، اصرخى يا أماه !
[تدفن رأسها فى صدر الأب وترفع كتفيها حتى لا تسمع صرخة الأم وتضيف فى صوت مختنق من العذاب]
اصرخى كما صرخت حينذاك !

الأم : [تندفع إليهما لتبعدهما عن بعض] لا يابنيّتى ! لا يا بنيّتى !
[وبعد أن تبعد الابنة عن الأب] أيها الوحش ... أيها الوحش ...
إنها ابنتى ! ألا ترى أنها ابنتى ؟

المدير : [يتراجع عند الصرخة حتى الأضواء الكاشفة فى أسفل المسرح ، بين تأثر الممثلين] رائع ، نعم رائع جداً ، ثم بعد ذلك ستار ، ستار !

الأب : [يندفع إليه شاهقاً] نعم ، لأن هذا هو الذى حدث بالضبط يا سيدى !

المدير : [باقتناع وإعجاب] هنا دون شك ينبغى : ستـــار : ستار ، نعم فى هـــذه اللحظة بالذات . . .

[عند هذه الصيحة التى تنطلق من المدير ، يسدل الستار – بحيث يترك المدير والأب خارج الستار أمام الأضواء السفلى للمسرح] .

المدير : [ينظر إلى أعلى رافعاً يديه] أية غبـــاوة ! . إنى أقصد أن المشهد ينبغى أن ينتهى هنا ... فتسدلون الستار حقيقة !

[يحدث الأب رافعاً أحد جانبى الستار ليعود إلى الدخول إلى خشبة المسرح] نعم ، نعم ، عظيم ! عظيم ! ؟ سيكون له تأثير رائع – ينبغى أن ينتهى على هذا النحو . أنا أضمن لك نجاح هذا الفصل الأول كل النجاح .

[يعود إلى الدخول مع الأب]

[عندما يفتح الستار مرة أخرى يكون الفنيون وعمال المسرح قد أزاحوا المنظر السابق ووضعوا مكانه حوضاً من أحواض الحدائق . يجلس الممثلون فى أحد جوانب المسرح فى صف واحد وفى الجانب الآخر من المسرح تجلس الشخصيات الست . يقف المخرج وسط المسرح واضعاً إحدى يديه وقبضتها مغلقة على فمه بشكل يوحى بأنه يفكر] .

[فترة صمت قصيرة]

المدير : [بهزة من كتفيه] والآن ، دعونا إذن نبدأ

الفصل الثانى . . اتركوا ، اتركوا كل شيء لى كما اتفقنا من قبل فتسير الأمور على أحسن وجه !

ابنة الزوجة : دخولنا إلى منزله هو [تشير إلى الأب] رغم أنف هذا الشخص ! [تشير إلى الإبن] .

المدير : [وقد نفد صبره] حسناً ! هذا شأنى كما قلت !

ابنة الزوجة : على أن يبدو ضيقه بنا واضحاً .

الأم : [تهز رأسها من مكانها] من أجل الخير الذى جنيناه . . .

ابنة الزوجة : [تلتفت إليها وتقول مقاطعة] لا يهم . . بقدر ما فعلوه لنا يكون تأنيب الضمير بالنسبة إليه !

المدير : [وقد نفد صبره] فهمت ، فهمت ! سأولى هذا الأمر عناية خاصة ! اطمئنى !

الأم : [وفى صوتها ترج] ولكن أرجوك يا سيدى أن يكون عملك بحيث يفهم الناس — لكى يطمئن قلبى — أننى حاولت بكل الطرق .

ابنة الزوجة : [مقاطعة الأم وباحتقار مكملة الحديث] . . . لقد حاولت بكل الطرق أن تهدئينى وأن تقنعينى بأن هذا الضيق بنا لم يكن موجوداً .

[المدير] هيا ارضها ! ارضها ! فإن ذلك هو الواقع ! إنى أتمتع متعة لا حد لها كما ترى، فكلما ازداد رجاؤها وكلما حاولت أن تشق طريقها إلى قلبه حاول هذا الإنسان أن يزداد ابتعاداً . يا له من مزاج !

المدير : على العموم نريد أن نشرع فى هذا الفصل الثانى .

ابنة الزوجة : لن أتفوه بكلمة أخرى . ولكن يستحيل تمثيل هذا الفصل كاملا فى الحديقة كما تريد .

المدير : ولم لا ؟

ابنة الزوجة : لأنه هو .

[تشير إلى الابن] يغلق نفسه دائما فى حجرته طوال اليوم .

مبتعداً عن الناس ! فضلا عن أن دور هذا الولد المسكين التائه ينبغى أن يجرى داخل المنزل ... كما قلت لك

المدير : لا بأس ، ولكن من الناحية الأخرى لعلك تدركين أنه لا يمكننا تعليق لافتات نخبر بها المتفرجين عن المنظر ، أو نغير المنظر ثلاث أو أربع مرات كل فصل !

المثل الأول : كانوا يفعلون ذلك فى الأيام الغابرة .

المدير : نعم ... عندما كان ذكاء المتفرجين لايتعدى ذكاء هذه الطفلة !

الممثلة الأولى : والإيهام أيسر أمرا !

الأب : [يهب واقفاً] الوهم ؟ أرجوكم لاتقولوا الوهم ، لاتستخدمى هذه الكلمة ، إنها كلمة قاسية بالنسبة لنا بصفة خاصة .

المدير : [مندهشاً] ولماذا خبرنى ؟

الأب : نعم قاسية !... قاسية ! كان ينبغى أن تفهم

المدير : ماذا يجب أن نقول إذن ؟ لقد كنا نشير إلى الوهم الذى نخلقه هنا أمام المتفرجين

الممثل الأول : بتمثيلنا نحن .

المدير : الوهم الذى يمثل الحقيقة !

الأب : إنى أفهم ياسيدى . ولكن أنت قد لاتفهمنا أرجو معذرتى ، لأن هذا كما ترى بالنسبة لك ولممثليك لا يتعلق إلا بلعب أدواركم وهذا صحيح .

الممثلة الأولى : [وقد استهزئ بها] أى لعب. لسنا هنا أطفالا ، ونحن نؤدى أدوارنا جدياً .

الأب : لا أقول لا ، وأقصد فى الواقع أنكم تلعبون

فنكم الذى ينبغى كما قال السيد أن يخلق
وهماً كاملا للحقيقة .

المدير هذا حق تماماً !

الأب والآن إذا كنت تعتقد أننا نحن كما نحن .
[يشير أثناء حديثه إلى نفسه وينتقل بالإشارة إلى الشخصيات الخمس الأخرى]
ليس لدينا حقيقة أخرى عدا هذا الوهم !

المدير : [فى دهشة ينظر حوله إلى الممثلين الذين بدت عليهم أيضاً علامات الدهشة والحيرة] وماذا تعنى بذلك ؟

الأب ، [بعد أن نظر إليهم قليلا وابتسامة باهتة على وجهه]
نعم يا سادة ... أية حقيقة أخرى فالمسألة التى بالنسبة لكم ليست إلا إبهاما تريدون خلقه هى على النقيض بالنسبة لنا ، هى واقعنــا الوحيد .
[فترة صمت قصيرة يتقدم بعض الخطوات تجاه المدير ثم يردف قائلا] :
ولتعلم أن هذا ليس بالنسبة إلينا فقط. فكر جيدا فى الأمر .
[ينظر إلى عينيه] هل تستطيع أن تخبرنى من أنت ؟
[يقف مشيراً إليه بأصبعه]

المدير : [مضطرباً ، على وجهه شبه ابتسامة] ماذا ؟ من أنا ؟ أنا نفسى !

الأب : لنفرض أنى قلت لك إن هذا ليس صحيحا لأنك أنت هو أنا ؟

المدير : سأجيبك بأنك مجنون ! [الممثلون يضحكون]

الأب : لكم حق فيما تضحكون ، لأنكم هنا تمثلون .

[إلى المدير] يمكنك أيضاً أن تعترض لأنه فى حالة اللعب فقط يصبح السيد

[يشير إلى الممثل الأول] الذى هو نفسه — يصبح « أنا » فى حين أنه العكس أنا هو أنا ... هاقد أوقعتك فى الفخ .

[الممثلون يعودون إلى الضحك]

المدير : [متضايقاً] ولكنك سبق أن قلت هذا الكلام منذ قليل ! أنعيده مرة أخرى

الأب : لا ، لا ، إنى لم أقصد ذلك فى الواقع — بل إنى أدعوكم إلى التخلى عن هذا اللعب [ينظر إلى الممثلة الأولى كأنه يتنبأ] هذا اللعب الفنى ! الفنى ! الذى اعتدت أن تمارسه هنا . ومرة أخرى أعود فأسألك بمنتهى الجد ... من أنت ؟

المدير : [يتلفت إلى الممثلين فى دهشة بالغة ممزوجة بالضيق]
يا له من رجل ذى وجه صفيق — رجل يدعى أنه شخصية روائية يجىء هنا ليسألنى من أكون !

الأب : [محتفظاً بكبريائه دون تعجرف] لأن الشخصية الروائية يا سيدى ، يمكنها أن تسأل دائماً أى إنسان من أنت؟ لأن الشخصية الروائية لها فى الواقع حياتها الخاصة وقسماتها المميزة لها ، ومن أجل ذلك فهى دائمـاً إحدى الحيثيات ... بينما الإنسان العادى ... وأنا لا أتحدث عنك شخصياً الآن ... الإنسان بعامة يمكن أن يكون « لا شىء » .

المدير : قد يكون ! ... ولكنك تسألنى « أنا » ، أنا المدير هل تفهم ؟

الأب : [برقة فى تواضع تام] من أجل أن أعرف فقط يا سيدى إذا ما كنت حقيقة كما أراك الآن . فانظر مثلا ماذا كنت منذ زمن بعيد ، وتذكر ما كنت عليه فى وقت من الأوقات . . . وبكل الأشياء الراسخة فى أعماقك والتى كانت تحيط بك فى ذلك الحين — وكانت هذه الأشياء واقعية بالنسبة لك ! حسناً

يا سيدى إذا تذكرت هذه الأوهام التى لم تعد تسيطر عليك الآن — لم تعد تبدو لك كما كانت فى الماضى ، ألا تعتقد أنك تفقد — لا أقول خشبة المسرح التى تقف عليها هذه ولكن الأرض التى تحت قدميك عند ماتفكر أن الحال إذا استمر هكذا ، فإن هذا الأنت الذى تشعر به الآن . . . كل حقيقتك كما هى اليوم ستصبح وهماً فى الغد ؟

المدير : [وقد بدا عليه أنه لم يفهم — وقد ذهل بهذا اللون المتسع من التفكير] حسناً حسناً ؟ ماذا تريد أن تستخرج من ذلك ؟

الأب : لا شىء ياسيدى ... لقد حاولت أن أجعلك ترى أننا إذا لم تكن لنا [يشير إلى نفسه وإلى الشخصيات التى معه] حقيقة أخرى غير هذا الوهم فأنت أيضاً يجب أن تشك فى حقيقة نفسك . الحقيقة التى تتنفسها وتلمسها كل يوم . . . لأنها كحقيقة الأمس عرضة لأن تكتشف أنها وهم فى الغد . . .

المدير : [قرر أن يهزأ به] جميل جداً ، وبذلك تريد أن تقول : أنك أنت ومسرحيتك التى أتيت بها لتمثلها لى أكثر حقيقة منى أنا ؟

الأب : [بنهاية الجد] دون أدنى شك ياسيدى .

المدير : حتماً ؟ !

الأب : كنت أعتقد أنك فهمت ذلك منذ البداية .

المدير : أكثر حقيقة منى أنا ؟

الأب : هذا إذا كانت حقيقتك تتغير من اليوم إلى الغد . . .

المدير : ولكن الكل يعرف أنها من الممكن أن تتغير ... إنها فى تغير دائم ككل الآخرين !

الأب : [صارخاً] كلا ، إن حقيقتنا لا تتغير يا سيدى ! أترى ؟ هذا هو الفارق ! لا تتغير... لا يمكن أن تتغير... ولا يمكن أن تكون شيئاً آخر أبداً . . . لأنها ثبتت هكذا « تلك » — إلى الأبد . . . شىءمرعب يا سيدى ! حقيقة صماء . . . إنها تجعلك ترتعد إذا اقتربت منا .

المدير : [فجأة تخطر له فكرة يتحرك قليلا ويقف فى تحد أمامه] أريد أن أعرف هل حدث على الإطلاق أن رأى أحد شخصية تخرج من دورها ، وتقترح وتشرح وتدافع عن نفسها على هذا النحو كما تفعل أنت ، هل تدلنى على شىء مثل هذا ؟ إنى لم أر شيئاً مثل ذلك فى حياتى !

الأب : لم تر شيئاً مثل ذلك فى حياتك لأن المؤلفين عادة ، يخفون تفاصيل عملهم. عند ما يرى المؤلف الشخصية تحيا حياة حقيقية أمامه، لا يفعل شيئاً أكثر من مجرد تتبعها فى كلماتها وحركاتها التى توحى هى بها فى الواقع ، إليه ، وينبغى أن يريدها كما ترغب هى ، والويل إذا لم يحدث ذلك ... فعندما تولد شخصية ، تكتسب فى الحال استقلالا حتى عن مؤلفها نفسه . . . فربما يتخيلها الناس فى مواقف لا تخطر على الإطلاق على بال المؤلف — أن يضعها فيها وتكتسب أيضـاً معنى لم يخطر ببال المؤلف على الإطلاق أن يكسبها إياه .

المدير : نعم ... أعرف هذا !

الأب : حسناً . . . إذن لِمَ استولت عليك الدهشة عند ما رأيتها ؟ تخيل مدى التعاسة التى تصيب شخصية تولد حية . . . من خيال أحد المؤلفين بعد أن حاول أن ينكر عليها حياتها ! وخبرنى هل الحق فى جانبه فى حالة ما إذا تركت هذه الشخصية على هذا النحو ، حية دون حياة . . . ألا يكون من

حقها أن تفعل مثلما نفعل نحن الآن أمامكم هنا بعد أن أطلنا عليكم كثيراً جداً — أن تقف هي أيضاً أمامه لكي تقنعه ولكي تحفزه ولكي تظهر أمامه، مرة أنا، ومرة هي [يشير إلى ابنة الزوجة] ومرة هـــذه الأم المسكينة . . . .

ابنة الزوجة : [تتقدم إلى الأمام كأنها في غيبوبة] هذا صحيح وأنا أيضاً . . . أنا أيضاً يا سيدي كنت أذهب لإغرائه عدة مرات في حجرة مكتبه الكئيبة، عند ما تبدأ الشمس في الغروب، وهو جالس منعزل في مقعد وثير ... لا يريد أن يزعج نفسه ليضيء مصباح الحجرة، تاركاً الظلمة تغشاها، ظلمة تستمد حياتها من وجودنا نحن الذين كنا نذهب لإغرائه [تبدو كما لو كانت ما زالت في حجرة المكتب يضايقها حضور كل هؤلاء الممثلين من حولها] : ماذا عليكم لو ذهبتم جميعاً ! وتركتمونا وحدنا ! . . . أمي هناك مع ابنها هذا — وأنا مع هذه الطفلة — وهذا الولد هنا دائماً وحيداً — ثم أنا وإياه [تشير ناحية الأب إشارة خفيفة] ثم أنا وحدي، أنا وحدي ...

فى ذلك الظلام . [تستدير فجأة كأنها تريد أن تقبض بيدها وتثبت الحلم الذى تراه ، الحلم الذى تراه خيالا يتلألأ فى الظلام] آه . . . حياتى ! يا للمشاهد ! كم من مشاهد رائعة اقترحناها عليه ! — وأنا أغريته أكثر منهم جميعاً ...

الأب : حقاً ! وربما يرجع إليك الذنب فى أنه رفض أن يهبنا الحياة التى طلبناها ، لقد كنت فى غاية الإسراف ، ومنتهى الوقاحة... لقد بالغت أكثر مما يجب !

ابنة الزوجة : ماذا تقول ؟ إذا كان هو الذى أراد أن أكون على هذا النحو ! [تقترب من المدير وكأنها تسر له] : أعتقد أن السبب فى ذلك كان على الأرجح ياسيدى هو الضيق ، أو ازدراؤه للمسرح الذى يحب الجمهور أن يشاهده ويقبل عليه .

المدير : هيا ! هيا ! بحق السماء ! هيا نطرق الوقائع يا سادة !

ابنة الزوجة : يبدو أن لدينا من الوقائع الشىء الكثير . . . فعند دخولنا إلى منزله قلت أنت نفسك [تشير إلى الأب] . . . قلت أنت نفسك إنه لا يمكنك أن تعلق لافتات أو تغير المنظر كل خمس دقائق .

المدير صحيح ! هذا حق ! ... ليس فى وسعنا ذلك . . . إن كل ما يمكننا عمله هو أن نركز كل شىء فى مشهد واحد مستمر دقيق — وليس بالطريقة التى تريدينها أنت، حيث ترغبين فى رؤية أخيك الصغير، وهو يعوذ من المدرسة ويتجول فى أرجاء الحجرة كالشبح ، يغلق على نفسه الأبواب ويتأمل أشياء — قلت . . . ماذا قلت عنها ؟ —

ابنة الزوجة : إنه يذوى ياسيدى ، يذوى تماماً .

المدير : لم أسمع على الإطلاق هذه الكلمة !حسنا : « يظهر فقط من بريق عينيه » أليس كذلك ! أليس ذلك ما قلته ؟

ابنة الزوجة : نعم يا سيدى ... ها هو ذا [تشير إلى الولد الصغير حيث يقف بجوار أمه]

المدير : مرحى ... وبعد ذلك تريدين فى نفس الوقت أن تلعب هذه الطفلة فى الحديقة تغمرها السعادة ، أحدهما فى المنزل، والآخر فى الحديقة . . . أهذا شىء ممكن ؟

ابنة الزوجة : نعم ... فى الشمس يا سيدى ، سعيدة ! إن جزائى الوحيد هو حبورها فى تلك الحديقة ، بعيدة عن البؤس والفقر فى

تلك الحجرة المرعبة حيث كنا ننام نحن الأربعة أنا وهي ـ أنا ـ تصور ذلك الرعب: جسدي الملوث الدنيء ملتصق بها . . . وهي تحتضنني بذراعيها الحبيبتين البريئتين ، كانت تجزى مندفعة نحوى بمجرد أن تلمحنى فى الحديقة ، ثم تمسك بيدى بين يديها . لم تكن تهتم بالزهور الكبيرة ، كانت تبحث عن الأزهار الصغيرة حتى تريني إياها ، وتغمرها سعادة ما بعدها سعادة .

[وإذ تقول ذلك تتمزقها الذكريات، فتصدر عنها صيحة يأس طويلة، فتسقط رأسها بين يديها اللتين تمتدان على المنضدة فى ارتخاء . يغلب التأثر الشديد على الجميع لرؤيتها هكذا . المدير يقول لها بطريقة أبوية ليريحها]

المدير سنصنع الحديقة ، سنصنع الحديقة ، لا تخشى شيئا . وسترين أنك ستسرين منها ! ونجمع باقى المناظر هناك !

[ينادى أحد العمال باسمه] احضر منظراً لبعض الأشجار . شجرتين صغيرتين أمام هذا الحوض !

[يسقط من أعلى المسرح منظر شجرتين صغيرتين . يسرع عامل المسرح ليثبته بالمسامير فى القوائم] .

المدير : [لابنة الزوجة] يكفى هذا الآن لمجرد إعطاء فكرة !

[ينادى أحد العمال باسمه] احضرمنظراً للسماء !

عامل المسرح : [من أعلى] ماذا ؟

المدير : السماء ! منظر للمؤخرة يستقر خلف هذا الحوض . [تسقط من أعلى المسرح شاشة بيضاء]

المدير : لا أريدها بيضـــاء بل فى لون السماء ! حسناً ، اتركها سأعد المنظر بنفسى فيما بعد [ينادى] . . الكهربائى ! أطفىء جميع الأنوار ، وزودنا بضوء قمرى أزرق على الجوانب من المصباح الكشاف ، وأزرق على الستار ... نعم هكذا ! يكفى هذا !

[يعد طبقاً لأوامر المدير ، ضوء قمرى له تأثير غريب على المنظر يدفع الممثلين إلى الكلام والحركة كأنهم فى الليل فى حديقة فى ضوء القمر] .

المدير : [لابنة الزوجة] هاك ! انظرى ! والآن بدلا من أن يختفى الشاب خلف أبواب الحجرة يمكنه أن يتجول فى الحديقة ويختبئ خلف الأشجار . ولكن أتعرفين أنه سيكون من الصعب الحصول على طفلة صغيرة تحسن القيام بهذا الدور معك . . . عند ما تزيلك

الأزهار [يستدير إلى الفتى] تقدم ، تقدم إلى الأمام أنت ، دعنا نجرب المشهد عملياً .

[الفتى لا يتحرك] تقدم ، تقدم !

[يجذبه إلى الأمام ويحاول أن يجعله يرفع رأسه ولكن رأســه يعود إلى السقوط بعد كل محاولة] :

حقاً إنها كارثة . . . حتى ذلك الولد . . . ولكن كيف هذا ! رباه إن كل ما يطلب إليه أن يتفوه ببضع كلمات . [يتقدم منه ويضع يداً على كتفه ويقوده خلف إحــدى الأشجار] :

والآن تقدم ! تقدم قليلا . . دعني أرى ! اختبئ قليلا هنا . نعم هكذا . . . والآن حاول أن تطل قليلا برأسك ... تجول بنظرك .

[ينتحي جانباً ليرى تأثير المنظر ، ويفعل الولد ما قيل له بالكاد بين قنوط الممثلين الذين يتأثرون غاية التأثر] : رائع . . . رائع جــداً . . .

[إلى ابنة الزوجة] لنفرض أن الفتاة الصغيرة تفاجئه وهو يطل برأسه من خلف الشجرة ثم تجرى نحوه . . . ألا يجعله ذلك ينطق بكلمة واحدة أو كلمتين ؟

ابنة الزوجة : [تنهض واقفة] لا تأمل أن ينطق بكلمة على الأقل مادام هذا الشخص .

[تشير إلى الابن] موجوداً هنا . ينبغي أن

تبعد أولا هذا الشخص .

الابن : [يتجه بإصرار نحو السلالم] إنى على استعداد وفى غاية السعادة لألبى طلبكم ولا شيء أحب إلى من ذلك !

المدير : [يمسك به فى الحال] لا ... إلى أين تذهب ؟ انتظر .

[تنهض الأم فى يأس ، وباضطراب بالغ معتقدة أن الابن سيغادر المكان حقاً ، فترفع يدها بطريقة تلقائية محاولة أن تمنعه من الذهاب دون أن تتحرك من مكانها]

الابن : [بعد أن وصل إلى أضواء المسرح السفلى — للمدير الذى يمنعه] ليس لى دور أؤديه هنا ! فدعنى أنصرف ! دعنى أنصرف !

المدير : كيف تقول « ليس لى دور أؤديه هنا » ؟

ابنة الزوجة : [بهدوء وبتهكم للمخرج] لا تمنعه من الذهاب ... فلن يذهب !

الأب : يجب أن يمثل هذا المشهد الفظيع أمام أمه فى الحديقة .

الابن : [فى الحال فى خيلاء وإصرار] أنا لا أمثل شيئاً ! وقد أعلنت ذلك منذ البداية [للمدير] دعنى أنصرف !

ابنة الزوجة : [تجرى نحو المدير] هل تسمح لى ياسيدى؟

[تخفض يد المدير التى يحاول بها أن يمنع الابن من مغادرة المكان] دعه !

[ثم تتجه نحو الابن بمجرد أن يتركه المدير]

حسنا ... اذهب إذن !

[الابن يبقى فى مكانه حيث هو . . . فى اتجاه السلالم وكأن قوة غريبة تمنعه من مغادرة المكان فلا يستطيع نزول السلم ، ثم يسير ببطء عبر الممر المجاور لأضواء المسرح السفلى وذلك بين قلق الممثلين ويأسهم ، يتجه مرة أخرى إلى سلم خشبة المسرح الثانى ، لكنه يبقى هناك دون أن يتمكن من النزول ، ابنة الزوجة التى كانت تراقبه بعينيها فى هذه الأثناء تنفجر ضاحكة]

ابنة الزوجة : لا يستطيع . انظر ! لا يستطيع ! ينبغى أن يبقى هنا بالقوة ، لا مفر من ذلك ! إنه مقيد إلينا بأغلال ... إذا كنت أنا التى تعودت الفرار عندما يقع ما لا بد من وقوعه أفر لأننى أكرهه ... لأنى لم أعد أطيقه ولا أطيق رؤيته أمامى أكثر من ذلك — إذا كنت أنا ما زلت باقية أحتمل منظره وأطيق صحبته — فتصور أن يتمكن من الرحيل ، هو الذى ينبغى أن يبقى هنا — هذا الأب الجميل وتلك الأم اللذان ليس لديهما أطفال آخرون

[ملتفتة إلى الأم]
انهضى ! انهضى يا أمى ... تعالى ...
[إلى المدير ومشيرة إلى الأم] إنها نهضت لتمنعه من الذهاب

[إلى الأم كأنها تجذبها بقوة سحرية] تعالى ... تعالى ...

[ثم للمدير] تصور أى قلب يكمن فى جنباتها كى تظهر هنا لممثليك ما تعانيه ، ولكن رغبتها للبقاء معه رغبة ملحة للغاية ... هاك ألا ترى ... إنها تريد أن تعيش معه مرة أخرى فى هذا المشهد

[فى هذه الأثناء تكون الأم قد ذهبت لابنها ولم تكد الابنة تنتهى من حديثها حتى تومئ الأم برأسها علامة على موافقتها على ما قالته الابنة]

الابن : [فى الحال] لا ... لا ، إنكم لن تجبرونى على هذا .. أنا ، لا ، إذا لم أستطع الذهاب فسأبقى هنا ولكنى أؤكد لكم أنى لن أشترك معكم فى أى مشهد !

الأب : [للمدير ... منفعلا] يمكنك أن تجبره يا سيدى .

الابن : لا يمكن أن يجبرنى أحد !

الأب : سأجبرك أنا على ذلك .

ابنة الزوجة : انتظروا ! انتظروا ! أولا وقبل كل شىء

يجب أن تذهب الفتاة الصغيرة إلى الحوض !
(تذهب لتأخذ الطفلة الصغيرة . تركع على ركبتيها أمامها وتأخذ وجهها بين يديها] يا صغيرتى الحبيبة المسكينة . . . إنك تنظرين حائرة بعينيك الواسعتين الجميلتين ! لا بد أنك تتساءلين أين أنت ! أننا على خشبة المسرح يا حبيبتى ! ما هو المسرح ؟ انظرى ! إنه مكان يلعبون فيه لعباً جاداً ! حيث يمثلون المسرحيات . . . ونحن الآن نقوم بتمثيلية على نحو جاد ... أتعرفين ! وأنت أيضاً [تحتضنها ، وتقربها من صدرها ، وتهدهدها قليلا] يا حبيبتى الصغيرة ؛ يا حبيبتى الصغيرة . . . ويا لها من تمثيلية فظيعة بالنسبة لك . . . أى شيء مروع دبروه لك . الحديقة والحوض . . . نعم ... أشياء مصطنعة ... وأسوأ ما فى الأمر يا عزيزتى أن كل ما هنا زائف ! ولكن ربما تحبين هذا الحوض المقلد أكثر من الحوض الحقيقى لتتمكنى من اللعب ، ولكن لا ! سيكون لعباً للآخرين ، أما لك... فلا ، وأنت مخلوق صادق اعتدت أن

تلعبى فى حوض حقيقى جميل أخضر كبير به أعواد كثيرة تلقى ظلالها فى المـــاء ، ويسبح عدد كبير من صغار البط مخترقا هذه الظلال ، لا شك أنك ترغبين فى أن تمسكى ببطة منها . . .

[تصرخ صرخة تثير الرعب فى الجميع] لا ياروزيتا يا حبيبتى ... لا : إن أمك لا تهتم بك ... وكل ذلك بسبب الولد الخنزير هناك — إنى أشعر كأن كل الشياطين تسيطر على رأسى .

[تكون فى هذه الأثناء قد تركت الطفلة الصغيرة وتلتفت بنفس الانجنامة للفتى] : هذا الشخص... ماذا تفعل هنا وأنت متخاذل هكذا دائماً — ستكون غلطتك أيضاً إذا غرقت هـــذه الطفلة ... بسبب الطريقة التى تتصرف بها ... كأنى لم أدفع الثمن للجميع حين جئت بكم إلى هذا المنزل !

[تمسك بذراعه لكى تجعله يخرج إحدى يديه من جيبه] : ماذا فى جيبك ؟ ماذا تخفى ؟ أخرج يدك .

[ترفع يده من جيبه بشدة ويبدو الذعر على الجميع

عند ما يرون أن الصبى كان يحمل مسدساً ، تنظر إليه قليلا كأنها راضية عن ذلك ثم تقول بلهجة مكتئبة]:

هيه . . من أين أتيت به ؟

[الصبى فى دهشة بالغة ويأس بالغ ، لا يجيب بشى ويحملق بعينيه فى الفضاء]

مجنون ! إذا كنت مكانك ما قتلت نفسى بل كنت أقتل واحداً منهما أو كليهما . . . الأب — أو — الابن .

[تخفيه خلف شجرة « السرو » حيث كان يرقب قبل ذلك ، ثم تأخذ الفتاة الصغيرة من يدها وتسير بها إلى الحوض وتضعها بداخله وتجعلها ترقد بحيث تظل مختفية ، وأخيراً تسير على ركبتيها وتدفن رأسها بين يديها معتمدة على حافة الحوض]

المدير : حسن جداً .

[إلى الابن] وفى نفس الوقت . . .

الابن : [بغضب] ماذا تعنى بقولك « وفى نفس الوقت » أوه ، ليس صحيحاً يا سيدى ! ليس بينى وبينها أى مشهد .

[يشير إلى الأم] دعها تقص كيف حدث بالفعل !

[الممثلة الثانية والممثل الشاب ينفصلان عن مجموعة الممثلين ويحملقان فى الابن والأم ليشاهدا ما سيحدث بينهما حتى يؤدياه بدقة فيما بعد]

الأم : نعم هذا صحيح يا سيدى ... فى هذا الوقت ذهبت أنا إلى حجرته .

الابن : فى حجرتى ... هل سمعت ؟ لم يكن فى الحديقة.

المدير : لا أهمية لذلك بالمرة ! فكما قلت سنجمع المناظر فى مشهد واحد متناسق .

الابن : [يشعر الآن أن الممثل الأول يحملق فيه] ماذا تريد أنت ؟

الممثل الشاب : لاشىء ، كنت أنظر إليك فقط .

الابن : [ملتفتاً إلى الجانب الآخر وإلى الممثلة الثانية] وأنت تفعلين كذلك كى تقلدى دورها ؟ [يشير إلى الأم]

المدير : هو ذلك تماماً ! هو ذلك تماما ! ويجب أن تكون شاكراً لها هذا الانتباه .

الابن : آه نعم شكراً ! ولكن ألم تفهم حتى الآن أنك لن تتمكن من تمثيل هذه المسرحية ؟ فليس هناك أى أثر لنا فيك ... وطيلة هذا الوقت كان لعب ممثليك فى شكل سطحى فقط . هل تعتقد أننا يمكننا أن نعيش أمام مرآة لا تكتفى فقط بتجميدنا على صورة معينة بل تعكس علينا صورة لا نعرفها نحن أنفسنا على الإطلاق ؟

الأب : هذا صحيح ! إنه على حق ! وأنت مقتنع بذلك !

المدير : [إلى الممثل الشاب والممثلة الثانية] حسناً . . . ابتعدا عنهما !

الابن : لا فائدة . . . لن يتقمص شخصيتى أحد .

المدير : اسكت أنت الآن ، ودعنى أصغى إلى أملك [إلى الأم] كنت تقولين يا سيدتى إنك ذهبت إلى حجرته ؟

الأم : نعم يا سيدى ذهبت إلى حجرته فلم أعد أحتمل الكتمان أكثر من ذلك ، أردت أن أحدثه عن الآلام التى كانت تثقل قلبى... ولكنه بمجرد أن رآنى قادمة . .

الابن : لم يحدث أى مشهد — لقد اندفعت خارجاً من الحجرة ، لقد اندفعت خارجاً من الحجرة حتى لا يحدث أى مشهد بينك الإطلاق ... أفهمت ؟

الأم : صحيح ... هذا ماحدث ! هذا ماحدث !

المدير : ولكن يجب أن يكون هناك مشهد بينك وبينها ! لابد من ذلك !

الأم : أما عن نفسى يا سيدى فأنا على استعداد وهذا إذا أرشدتنى عن طريقة يمكننى أن

أتحدث بها إليه لحظة واحدة وأروى له
كل ما ينوء به قلبي .

الأب : [يذهب إلى الابن فى غضب جامح] ستفعل ذلك ... ستقوم بالدور من أجل أملك ! . . . من أجل أملك !

الابن : [أكثر عناداً] لن أقوم بشىء بالمرة .

الأب : [يمسك به من خناقه] اسمع الكلام ! اسمع الكلام ! ألا ترى كيف تسترضيك ؟ أليس لديك ذرة من الشعور بالبنوة ؟

الابن : [يمسك به أيضاً] لا ! لا ! لا ! انهــوا هذا الموضوع نهائيا !

[هياج عام فى المسرح . . . الأم مرتاعة تحاول أن تتدخل لتفرق بينهما]

الأم : أرجوكم ، أرجوكم !

الأب : [دون أن يترك الابن] يجب أن تطيع ! يجب أن تطيع !

الابن : [يتشاحن معه وأخيراً يلقى به أرضاً فيسقط قرب درجات السلم بين فزع الجميع] ما هذا الجنون الذى طرأ عليك ؟ ألا تخجــل من أن تستعرض خزيك وعارنا أمام الجميع . أنا لن أسمح بتقمص شخصيتى لأحد

لن يتقمص شخصيتى أحد ! إن موقفى يعبر عن رغبة مؤلفنا جميعاً الذى لا يريد أن يقدمنا على المسرح !

المدير : ولكن ما دمتم قد حضرتم إلى هنا ...

الابن : [يشير إلى الأب] هو وليس أنا !

المدير : ألست أنت هنا أيضاً ؟

الابن : هو الذى أرادنى أن أحضر ... وجرنا جميعاً معه ، وتبرع أيضاً أن يتم طهو الفكرة هناك بالاشتراك معك غير مقتنع بما حدث بالفعل ؛ كما لو كان ما حدث لا يكفى ، بل استرسل فى إضافة أشياء لم تحدث أبداً !

المدير : ولكن قل — قل أنت على الأقل ما حدث بالفعل ! قصه على ! ... هل اندفعت أنت خارجاً من الحجرة دون أن تذكر شيئاً ؟

الابن : [بعد لحظة تردد] نعم ... دون أن أذكر شيئاً وذلك حتى لا يحدث أى مشهد .

المدير : [يحثه على الكلام] ثم بعد ؟ ماذا فعلت ؟

الابن : [بين انتباه الجميع — يتقدم بضع خطوات على خشبة المسرح] لا شىء ... بينما كنت أعبر

الحديقة ... [يتوقف عن الكلام مذهولا مكتئباً]

المدير : [مستمراً فى حثه على الكلام متأثراً لتحفظه] ... بينما كنت تعبر الحديقة ؟

الابن : [فى غضب يخفى وجهه بذراعه] ولكن لمـاذا تريد أن تجبرنى على الكلام يا سيدى ، هذا مريع !

[الأم ترتجف وتصدر عنها تنهدات مخنوقة عند ما تنظر إلى الحوض]

المدير : [ببطء ملاحظاً المكان الذى تنظر إليه الأم ، يلتفت إلى الابن وقد بدأ يفهم ثم يقول] الفتاة الصغيرة؟

الابن : [ينظر أمامه فى صالة المتفرجين] هنـاك فى الحوض ...

الأب : [على الأرض يشير إلى الأم بصوت ملؤه الشفقة] وكانت تتعقبه يا سيدى !

المدير : [للابن بقلق] وحينئذ ماذا فعلت ؟

الابن : [ببطء – مستمراً فى النظر أمامه] جـريت واندفعت نحوها لكى أنتشلها . . . وفجأة توقفت . . . وهناك خلف الشجرة لمحت شيئاً تجمد له الدم فى عروقى : الولد ، الولد الذى كان يقف هناك ... جامداً ... وبريق الجنون يشع من عينيه يحملق فى

الحوض فى أخته الصغيرة وهى تغرق .

[تسمع ابنة الزوجة التى كانت طوال ذلك الوقت منثنية فوق حافة الحوض لتخفى الفتاة الصغيرة تجيب فى صوت كأنه رجع الصدى يأتى من الأعماق]

[فترة سكون] فتقدمت منه عندئذ ... ثم

[دوى طلقة مسدس خلف الأشجار حيث الفتى ما زال مختفياً]

الأم . : [تصرخ صرخة حادة مندفعة خلف الشجرة مع ابنها وجميع الممثلين . هرج عام فى المسرح] ولدى ! ولدى !

[ثم خلال الهرج يعلو صوتها على صوت الآخرين]

النجدة ! النجدة !

المدير : [يحاول بين كل هذا الضجيج أن يجد لنفسه مكاناً بين الممثلين المتجمعين حول مكان الصبى الصغير فى حين يحمل الفتى من رأسه ورجليه وينقله إلى الخارج خلف الستار الأبيض] : هل جرح ؟ جرح حقاً !

(الجميع عدا المدير والأب الذى ما زال على الأرض بالقرب من السلم ، يختفون خلف الستار الذى يمثل منظر السماء ويمكن سماعهم يتناقشون ويتعجبون فى انفعال شديد — ثم يدخل الممثلون بعضهم من أحد الجوانب ، والبعض من الجانب الآخر]

الممثلة الأولى : [تدخل من الجانب الأيمن متألمة للغاية] لقدمات !

للولد المسكين ! مات ! يا للفظاعة !

المثل الأول : [يدخل من الناحية اليسرى للمسرح ضاحكاً] وكيف « مات » هذا وهم – وهم لاتصدقى !

الممثلون الآخرون : [من اليمين] وهم ؟ بل حقيقة ! حقيقة مات حقيقة !

آخرون : [من اليسار] لا ... تمثيل ! تمثيل !

الأب : [يقف صارخاً فيهم] أى تمثيل ؟ حقيقة يا سادة ! حقيقة !

[يختفى هو أيضاً فى يأس خلف المنظر]

المدير : [فى قمة هياجه] وهم ! حقيقة ! اذهبوا إلى الجحيم جميعكم – أضئ الأنوار ! الأنوار ! .... الأنوار !

[يغمر المسرح فجأة ضوء شديد ساطع ، يتنفس المدير كأن حملا ثقيلا قد أزيح من على كاهله ؛ يقف الجميع تائهين فى حيرة]

المدير : لم يحدث لى شيء مثل ذلك من قبل ! لقد أضاعوا على يوما بأكمله ! [ينظر إلى ساعته] انصرفوا ! انصرفوا ! ماذا يمكن أن تؤدوه الآن؟ الوقت متأخر جدا لعمل « التجربة » – إلى اللقاء مساء ...

[بمجرد خروج الممثلين وهم يحيـــونه] : عامل الكهرباء ، أطفئ الأنوار [لم يكد يفرغ من

[إصدار أوامره حتى يصبح المسرح فى ظلمة حالكة]

لعنة الله عليك ! أترك لى مصباحا صغيرا

حتى أستطيع أن أرى موضع قدمى !

[يظهر فى الحال كما لو كان قد أضيء خطأ — خلف الستار الذى يمثل السماء كشاف أخضر وتنعكس على الستار ظلال كبيرة للشخصيات الست [عدا الفتى والطفلة] عند ما يراها المخرج يفر هارباً من على خشبة المسرح ، فى نفس الوقت يطفأ الكشاف خلف المنظر — يعود المسرح الآن إلى الضوء الأزرق القمرى الذى كان يغمره من قبل .

تبدأ الشخصيات الست فى الخروج من الناحية اليمنى خلف الستار الأخضر فى بطء شديد إلى مقدمة المسرح . يخرج الابن أولا تتبعه الأم مادة ذراعيها نحوه . ثم يخرج الأب من الناحية اليسرى للمسرح . بعد أن يتقدموا إلى منتصف المسرح يقفون فى منتصف الطريق كأنهم فى غيبوبة أو كأنهم فى حلم .

وأخيراً تخرج ابنة الزوجة من الناحية اليسرى وتجرى برشاقة تجاه السلالم المؤدية إلى الصالة ، وعند ما تصل قدمها إلى أول درجة من السلالم ، تقف فجأة فى ذهول لحظة لتنظر إلى الثلاثة الآخرين ثم تنفجر فى ضحكة جنونية ، ثم تعدو هابطة السلم ، تجرى عبر الممر بين الكراسى . تتوقف مرة أخرى وتضحك من جديد ناظرة إلى الثلاثة الذين يقفون فوق المسرح ، ثم تختفى من القاعة وما زالت ضحكاتها تدوى بين أرجاء المسرح بأجمعه ، فترة صمت قصيرة ، ثم يسدل

ستار

النهاية

مطابع كوستا تسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر - تليفون ٤٤١١٨
١٣ شارع جلال بالقاهرة - تليفون ٥٢٦٣٩

روائع

المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

ملتزم النشر والتوزيع الشركة التعاونية للطباعة والنشر ١٤ ش عماد الدين

يطلب من
مكتبة الخانجى - القاهرة * مكتبة المثنى -

الثمن ١٠ قروش